معجزة القرآن الخالدة
وموقف المستشرقين منها

د / فضلون محمد محمد مصطفى

مدرس العقيدة والفلسفة فى الكلية

المقدمة

الحمد لله أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً [1] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه أيد نبيه محمد ﷺ بالقرآن الكريم وجعله معجزته الخالدة على مر العصور والأزمان وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً رسول الله .

أدبه ربه فأحسن تأديبه وعلمه فأحسن تعليمه فقال عز من قائل : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[2] اللهم صلى وسلم وبارك عليك سيدى يا رسول الله وعلى ألك وأصحابك إلى يوم الدين .

وبعـــــد ....

فمما لا ريب فيه أن القرآن الكريم هو أشرف الكتب السماوية واجلها على الإطلاق ، وهو الكتاب الوحيد الذى لم تمتد إليه يد التحريف والتبديل منذ أن نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها فقال جل في علاه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3] .

وهو الكتاب العظيم الذى شهد بعظمته أحكم الحاكمين واعدل العادلين فقال عنه الحق جل في علاه : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾[4] .

وشهد بعظمته الجن فقالوا عندما سمعوه : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾[5] .

وهذه حقيقة واضحة وثابتة وقد شهد بها ألد أعداء الإسلام ، فها هو الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن قال عنه ــ أن له الحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ، والذى دفعنى إلى الكتابة في هذا الموضوع عدة أسباب منها :

---

(١) سورة الكهف آية رقم : ١ .

(٢) سورة النساء من الآية رقم ١١٣ .

(٣) سورة الحجر آية رقم : ٩ .

(٤) سورة الإسراء من الآية رقم ١٠٥ .

(٥) سورة الجن الآيات رقم : ١ ــ ٢ .

أولاً : أن القرآن الكريم ملئ بالأسرار والدلائل الباهرة التى تدل على قدسية هذا الكتاب ، وأنه من عند الله تعالى .

ثانياً : أن التحدى بالقرآن الكريم لم ينتهى بوفاة النبى ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة ما دامت السموات والأرض .

ثالثاً : أن أعداء الإسلام يعملون كل ما في وسعهم على أبعاد المسلمين عن هذا الكتاب ، لأنهم يعلمون علم اليقين أن في هذا الكتاب صلاح أمر المسلمين وسعادتهم وفوزهم في الدنيا والآخرة ، ويعملون أيضا على إثارة الشبهات والأباطيل حوله ، وكل ذلك لم يزيد هذا الكتاب إلا رفعة وعلواً وشموخاً .

ولقد قسمت البحث إلى خمسة مباحث رئيسية وهى :

المبحث الأول : تعريف القرآن الكريم ومنزلته بين الكتب السماوية .

المبحث الثانى : القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الخالدة .

المبحث الثالث : أوجه الإعجاز في القرآن الكريم .

المبحث الرابع : الإعجاز العلمى في القرآن الكريم .

المبحث الخامس : موقف المستشرقين من معجزة القرآن الكريم .

المبحث الأول

تعريف القرآن الكريم ومنزلته بين الكتب السماوية

أولاً : تعريف القرآن الكريم :

القرآن في اللغة : هو مصدر قرأ ــ يقال يقرأ قراءة وقرآنا ، قال تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[1] .

ثم انتقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله ، فالقرآن على هذا يكون بمعنى المقروء هذا ما اختاره أكثر العلماء استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق .

وأما تعريفه في اصطلاح العلماء : فهو كلام الله تعالى المعجز المنزل على سيدنا محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه[2] .

أسماء القرآن الكريم : سمي القرآن الكريم بأسماء كثيرة أخذت من أوصافه التي وردت فيه وأشهر هذه الأسماء هي :

١ ــ القرآن الكريم : قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[3] .

٢ ــ الكتاب : قال تعالى ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

٣ ــ الذكر : قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[5] .

٤ ــ التنزيل : قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[6] .

٥ ــ الفرقان : قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[7] .

٦ ــ الهدى : قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[8] .

---

(١) سورة القيامة الآيات رقم : ١٦ ــ ١٨ .
(٢) دراسات في علوم القرآن د / محمد بكر إسماعيل ص ١٠ .
(٣) سورة الإسراء آية رقم : ٩ .
(٤) سورة البقرة آية رقم : ١ ــ ٢ .
(٥) سورة الحجر آية رقم : ٩ .
(٦) سورة الشعراء آية رقم : ١٩٢ .
(٧) سورة الفرقان آية رقم : ١ .
(٨) سورة الصف آية رقم : ٩ .

٧ ــ الصراط المستقيم[١] : قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢] .

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي :

أولا : أن القرآن الكريم معجزة تحدى الله بها الأنس والجن والحديث القدسي ليس كذلك .

ثانيا : أن القرآن الكريم متعبد بتلاوته والحديث القدسي ليس كذلك .

ثالثا : أن القرآن الكريم متواتر ، نقله الجمع الغفير ممن أبلغ الغاية في العدالة والضبط عن مثلهم إلى النبي ﷺ والحديث القدسي منه الصحيح ومنه الحسن ومنه الضعيف .

رابعا : القرآن الكريم لا تجوز روايته بالمعنى بخلاف الحديث القدسي فإنه يجوز أن يروى بمعناه بشرط أن يكون الراوى محيطاً بالمعانى فقيها بمعانى الألفاظ واشتقاقها .

خامسا : لا يجوز للجنب قراءة القرآن ولامس المصحف ويجوز له قراءة الحديث القدسي ومس الكتاب الذى يحتويه .

سادسا :أن الله تكفل بحفظ القرآن الكريم قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٣] بخلاف الحديث القدسي فإنه قد يبدل لفظ من ألفاظه أو ينسى بعضه بمرور الزمان وذهاب الحافظين .

سابعا : أنه من أنكر لفظاً من ألفاظ القرآن الكريم كفر ، فإنه متواتر كله بخلاف الحديث القدسي فإنه من أنكر شيئا منه لم يعلم من الدين بالضرورة لم يكفر[٤] .

ثامنا : أن القرآن الكريم لا يصح الصلاة إلا به ، أما الحديث القدسي فلا تصح الصلاة به . ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب[٥] .

تاسعا : أن القرآن الكريم مأمور بترتيله ، بخلاف الحديث القدسي . قال تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[٦] .

عاشرا : أن القرآن الكريم مأمور بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند تلاوته ، والحديث القدسي ليس كذلك[٧] .

---

(١) دراسات في علوم القرآن د / محمد بكر إسماعيل ص ١٩ .
(٢) سورة الأنعام آية رقم : ١٥٣ .
(٣) سورة الحجر آية رقم : ٩ .
(٤) دراسات في علوم القرآن د / محمد بكر إسماعيل ص ٢١ وما بعدها .
(٥) الحديث ــ رواه الإمام مسلم في صحيحه ــ باب رقم ١١ حديث رقم ٨٢٢ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه طبعة دار الفكر .
(٦) سورة المزمل من الآية رقم : ٤ .
(٧) بحوث في علوم الحديث د / هشام سيد مرسى ص ٥٩ .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[1] .

فضل القرآن الكريم :

أن القرآن الكريم هو المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام ، وفرق بين الحلال والحرام ، وهو الضياء والنور ، وبه النجاة من الغرور ، وفيه شفاء لما في الصدور[2] .

قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[3] .

من أجل ذلك حثنا النبي ﷺ على تعلمه وتعليمه فقال في الحديث النبوى الشريف خيركم من تعلم القرآن وعلمه للناس "[4] ، وقال أيضاً اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"[5] .

ويقول الفضيل بن عياض ــ حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغوا مع من يلغو تعظيما لحق القرآن[6] .

والقرآن الكريم هو الروح التى تتوقف عليه حياة الإنسان ، فهو الروح اللازمة للحياة الفاضلة الكريمة لأن الناس بدون أن تسرى فيهم الروح القرآنية أمواتاً حقاً ، لا ينتفعون بوجودهم ولا بحياتهم المادية[7] .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[8] .

من خلال هذا المنطلق حثنا الرسول ﷺ على التمسك الشديد بهذا الكتاب والعمل به وتطبيق أوامره والبعد عن نواهيه وحذرنا تحذيراً شديداً من البعد عنه فقال ﷺ في الحديث النبوى الشريف عليكم بكتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ما تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أذله الله ، هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا

---

(١) سورة النحل آية رقم : ٩٨ .

(٢) إحياء علوم الدين ــ الإمام الغزالى ج١ ص ٤٢٢ .

(٣) سورة الإسراء آية رقم : ٨٢ .

(٤) الحديث ــ رواه الإمام ابن ماجة في المقدمة ص ٣٢ ــ عن أبي أمامة رضى الله عنه ، طبعة دار الفكر .

(٥) الحديث ــ رواه الإمام أبي داود في سننه الملجد الثانى ــ باب فضل القرآن الكريم ص ٩١ طبعة دار الغد .

(٦) مكاشفة القلوب ــ الإمام الغزالى ص ٣٤٧ .

(٧) عقيدة المؤمن ــ الشيخ أبو بكر الجزائرى ص ١٩٩ .

(٨) سورة الشورى آية رقم : ٥٢ ــ٥٣ .

يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه أبداً ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به أفلح ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم[1] .

ثانياً : منزلة القرآن الكريم بين الكتب السماوية :

أن القرآن الكريم له منزلة خاصة بين سائر الكتب الإلهية التى تقدمته في النزول ، وقد تتجلى هذه المنزلة العلية للقرآن العظيم بإمعان النظر في النقاط التالية :

أولاً : كونه ناسخاً لها لفظاً وحكماً ، فلا تقرأ للتعبد ، ولا يعمل بما فيها من شرائع وأحكام وذلك لما يلى :

١ ــ لما دخلها من تحريف وما أصابها من تضيع ونسيان ، إذ لم يبق بها ما يجزم بصحة نسبته إلى الله تعالى أبداً ، عرف هذه الحقيقة وقررها المنصفون والمحققون من علماء أهل الكتابين معاً .

٢ــ كان التشريع فيها خاصاً ببنى إسرائيل وموقوتا بزمن معين وليس أدل على نسخ القرآن الكريم للكتب قبله من أمر الله تعالى لنبى القرآن سيدنا محمد ﷺ أن يحكم بين سائر الناس على اختلاف ما ينتحلون من ديانات بالقرآن الحكيم وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[2] .

ثانياً : كونه مهيمناً عليها رقيباً شهيداً ، فما صححه منها واقره فيها صح وقر ، وما أبطله منها ونفاه لكونه دخيلاً عليها ليس منها بطل وانتفى كما جاء شاهد هذا في الآية السابقة ــ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه "

ثالثاً : كونه ما يحمل من التشريع الإلهى عاماً لكل الناس في أى مكان كانوا وفى أى زمان وجدوا وذلك لعموم رسالة صاحبه المنزل عليه ﷺ إذ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1] ، وقال أيضاً : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] . بخلاف الكتب التى سبقته فإنها كانت خاصة في المكان والزمان ولا عموم فيها البته .

رابعاً : تعهد المولى تبارك وتعالى بحفظه إلى أن يرفعه إليه إذ قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2] .

---

(١) الحديث ــ رواه الإمام أبى داود في سننه المجلد الثانى ــ باب فضل القرآن الكريم ص ٩٢ طبعة دار الغد .

(١) سورة المائدة من الآية رقم : ٤٨ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم : ١٥٨ .

(١) سورة سبأ لآية رقم : ٢٨ .

(٢) سورة الحجر آية رقم : ٩ .

وقال جل جلاله : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[1] . فحفظه المولى تبارك وتعالى بأن قيض له رجالاً أمناء حفظوه في صدورهم وسطورهم ، فلم تقو يد الزمان ولا يد العدوان على أن تزيد فيه حرفا ولا أن تنقص منه حرفاً بخلاف غيره من الكتب ، وخاصة التوراة فقد ضاعت كلها في غزو (بختنصر البابلى) لمملكة بنى إسرائيل ولم يعثر عليها إلا فيما بعد ، ثم ما أن جمعت (والله اعلم) بصحة ما جمع فيها حتى تسلط عليها عبدة المادة فحرفوها وبدلوها حسب مصالحهم وأهوائهم ، أما الإنجيل فيكفى فيه الدلالة على عدم حفظه أنه اليوم خمسة أناجيل (متى ومرقص ــ ولوقا ــ ويوحنا ــ وبرنابا) بعد أن كان يوم نزوله إنجيلاً واحداً .

خامساً : شموله لأصولى الهداية البشرية وفروعها واحتواؤه على أعظم منهج ربانى محقق لسعادة الإنسان في الدنيا وفى الآخرة ، من آمن به وعمل ما فيه[2] .

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[3] .

عقيدة السلف في القرآن الكريم :

يجب التصديق بأن القرآن الكريم كلام الله الذى منه بدأ وإليه يعود بلا كيفية قولاً ، وأنزله على رسوله وحياً .

وعقيدة السلف أن القرآن ليس بمخلوق ، ومن قال ذلك فقد كفر ومن سمعه فقال انه كلام البشر فقد كفر لأن الله أوعد من قال ذلك بسقر حيث قال تعالى : ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴾[4] ويعتقدون أن المسموع من القارئ هو كلام الله مستدلين بقوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[5] فممن يسمع ؟ من القارئ إذن ، فالمسموع كلام الله تعالى[6] .

---

(١) عقيدة المؤمن ــ الشيخ أبو بكر الجزائرى ص ١٩٥ : ١٩٧ .
(٢) عقيدة المؤمن أبو بكر الجزائرى ص ١٩٥ ــ ١٩٧
(٣) سورة المائدة الآيات : ١٥ ــ ١٦ .
(٤) سورة المدثر آية رقم : ٢٦ .
(٥) سورة التوبة من الآية رقم : ٦ .
(٦) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ــ ابن أبي العز الحنفى ج١ ص ١٧٤ .

" ولا يجيزون القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه بل إذ قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة ، فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئا ، لا إلى من قاله مبلغاً ومؤدياً .

ويعتقدون أنه كلام الله حروفه ومعانيه ، فليس كلام الله الحروف دون المعانى ، ولا المعانى دون الحروف[1] .

ويعتقد السلف بأن الكلام صفة الله قائمة بذاته تعالى يتكلم بها بمشيئته وقدرته ، فهو لم يزل ولا يزال متكلما إذا شاء ، وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقاً منتقلاً عنه ، ولا لازماً لذاته لزوم الحياة ، بل هو تابع لمشيئته وقدرته .

ويعتقدون أن الله تعالى كلم موسى بصوت ونادى آدم وحواء بصوت ، وينادى عباده يوم القيامة بصوت ، ويتكلم بالوحى بصوت ولكن الحروف والأصوات التى تكلم بها هى صفة له تعالى غير مخلوقه ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم ، كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده فإنه تعالى لا يماثل المخلوقين في شئ من صفاته .

ويعتقدون أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة هى عين كلام الله لا حكاية ولا عبارة كما في قوله تعالى (الم ــ المص ــ المر) ويعتقدون أن الصوت والحرف من كلام الله لا يحتاج إلى مخارج ويستدلون بأن السموات والأرض قالتا أتينا طائعين ، فحصل القول من غير مخارج ولا أدوات ولأن الله قادر على الكلام بدونها .

وهذا هو الاعتقاد الصحيح المبنى على قاعدة الكمال اللائق بالله تعالى فيما يتعلق بكتبه وكلامه[2] .

تعقيب :

يتضح مما تقدم أن القرآن الكريم كلام الله حقيقة منه بدأ ، وأنه تعالى بصفاته ليس كالبشر نفياً للتشبيه عقب الإثبات ، يعنى أن الله تعالى وان وصف بأنه متكلم ، لكن لا يوصف بمعنى من معانى البشر التى يكون الإنسان بها متكلما[3] فإن الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[4] .

---

(١) الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والاخلاف د / سيد عبد العزيز السيلى ص ٤٨ .

(٢) الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق د / سيد عبد العزيز السيلى ص ٤٩ .

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ــ ابن أبى العز الحنفى ج١ ص ١٨٢ .

(٤) سورة الشورى آية رقم ١١ .

والمؤمن الحقيقى قد آمن ويؤمن بكل ما أنزله الله من كتاب إجمالاً فيما لم يعرف وتفصيلا فيما عرف ، فآمن بصحف إبراهيم وألواح موسى وتوارته وزبور داود وإنجيل عيسى وفرقان سيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين وسلم تسليماً كثيراً[1] .

قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2] .

(١) عقيدة المؤمن ــ الشيخ أبو بكر الجزائرى ص ٢٠٢ .

(٢) سورة البقرة آية رقم : ٢٨٥ .

المبحث الثانى
القرآن الكريم معجزة الرسول الخالدة

تعريف المعجزة لغة واصطلاحاً :

المعجزة في اللغة : مأخوذة من العجز المقابل للقدرة ، وحقيقة الإعجاز إثبات العجز استعير لإظهاره ثم اسند مجازاً إلى ماهو سبب العجز ، وجعل اسما له فالتاء للنقل من الوصفية إلى الأسمية كما في الحقيقة وقيل للمخالفة[1] .

والمعجزة اصطلاحاً : هى أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة بحيث لا يستطيع أحد من البشر أن يحاكيه أو يأتى بمثله[2] ، وعرفها صاحب المواقف بقوله " ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله تعالى .

وعرفها صاحب المقاصد بأنها ــ أمر يظهر بخلاف[3] العادة على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الآتيان بمثله[4] .

شروط المعجزة : اشترط المتكلمون في الخارق الذى يسمى معجزة سبعة شروط .

الأول : أن يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه لأن التصديق منه لا يحصل بما ليس من قبله وقولونا أو ما يقوم مقامه بتناول مثل ما إذا قال معجزتى أن أضع يدى على رأسى وأنتم لا تقدرون عليه ففعل وعجزوا فإنه معجز ولا فعل لله ثمة . فإن عدم خلق القدرة ليس فعلاً ، ومن جعل الترك وجوديا حذفه .

الثانى : أن يكون خارقاً للعادة ، إذ لا إعجاز دونه ، وشرط قوم ألا يكون مقدوراً للنبى وليس شئ ، لأن قدرته مع عدم قدرة غير معاده معجز .

الثالث : أن تتعذر معارضته فإن ذلك حقيقة الإعجاز .

الرابع : أن يكون ظاهراً على يد مدعى النبوة ليعلم أنه تصديق له وهل يشترط التصريح بالتحدى ؟ الحق أنه لا بل تكفى قرائن الأحوال مثل أن يقال له أن كنت نبياً فأظهر معجزاً ففعل .

الخامس : أن يكون موافقاً للدعوى فلو قال معجزتى أن أحيى ميتا ففعل خارقاً آخر لم يدل على صدقه .

---

(١) شرح المقاصد ــ العلامة سعد الدين التفتازانى ج٥ ص ١١ .
(٢) النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد عبد العال ص ٦٢ .
(٣) المواقف في علم الكلام ــ العلامة عبد الرحمن اللايجى ص ٣٣٩ .
(٤) شرح المقاصد ــ العلامة سعد الدين التفتازانى ج٥ ص ١١ .

السادس : ألا يكون ما ادعاه وأظهره مكذباً له فلو قال معجزتي أن ينطق هذا الضب فقال انه كاذب لم يعلم به صدقه بل ازداد اعتقاد كذبه نعم لو قال معجزتي أن أحيي هذا الميت فأحياه فكذبه ففيه احتمال والصحيح انه لا يخرج بذلك عن كونه معجزاً ، لأن المعجز إحياؤه وهو بعد ذلك مختار في تصديقه وتكذيبه ، ولم يتعلق به دعوى ، وقيل هذا إذا عاش بعده زماناً ولو خر ميتاً في الحال بطل الإعجاز ، لأنه كان أحيي للتكذيب ، والحق أنه لا فرق لوجود الاختيار في الصورتين والظاهر أنه لا يجب تعين المعجز .

السابع : أن يكون متقدماً على الدعوى بل مقارناً لها لأن التصديق قبل الدعوى لا يعقل فلو قال معجزتي ما قد ظهر على يدى قبل لم يدل على صدقه ، ويطالب به بعد ، فلو عجز كان كاذباً قطعاً[1] .

الفرق بين المعجزة وغيرها من الخوارق الأخرى :

أولاً الفرق بين المعجزة والإرهاص : أن المعجزة هى أمر خارق للعادة يظهرها الله على يد مدعى النبوة مقرونا بالتحدى موافقا لطلب الرسول ﷺ .

أما الإرهاص ـــ فإنه أمر خارق للعادة يظهر على يد الأنبياء قبل بعثتهم مقدماً للنبوة وتأسيسا لها .

فليس مقرونا بالتحدى ولا دالاً على صدق النبى ﷺ ، وذلك لا دعوى حينئذ مثل تضليل الغمام لرسول الله ﷺ وكلام عيسى عليه السلام في المهد ويرى بعض المتكلمين أن الإرهاص من قبيل المعجزة وعلى هذا فلا فرق بنيهما عند هؤلاء وهذا الرأى لا يعتمد به ـــ لأن النبى ﷺ لم يكلف بعد حتى يسمى ما يظهر على يديه معجزة .

وعلى هذا فالمعجزة يقصد بها الإعجاز والتحدى وظهورها على يد النبى ﷺ بعد بعثته . أما الإرهاص فبخلاف ذلك[2] .

ثانياً : الفرق بين المعجزة والكرامة :

والكرامة هى ـــ ما يكرم الله به أولياءه بما يظهر على أيديهم وليس من شروطها أن تكون خارقة للعادة ولا خارجة عن مألوف الناس.

ومن الكرامة الاستقامة والتوفيق إلى طاعة الله والزيادة في العلم والعمل وهداية الخلق إلى الحق ، وقد يحدث بعض الخوارق للعادات على أيدى بعض الصالحين في بعض الأقوال فيعد ذلك من الكرامات التى تلازم بعض المخلصين والمتفرغين لعبادته .

---

(١) المواقف في علم الكلام ـــ العلامة عبد الرحمن الايجى ص ٣٣٩ وما بعدها .

(٢) دراسات في العقيدة وعلم الكلام ـــ طبعة وزارة الأوقاف المصرية ص ١٢٥ .

والذين سلمت فطرتهم وزكت نفوسهم كما وقع للسيدة مريم وقد حكى القرآن الكريم عنها انه : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

ولكن مع ذلك لا يتحدى بها بل الأصل فيها الإخفاء والكتمان قال الشيخ أحمد الرفاعى ـ رضى الله عنه ـ أن الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض ، وهذا يخالف المعجزة ، لأن إظهارها واجب ليتم بها تبليغ الرسالة(٢) .

ومن ناحية أخرى ـ فإن صاحب المعجزة مأمون العاقبة أما صاحب الكرامة فلا يأمن تغيير عاقبته(٣) .

ثالثاً : الفرق بين المعجزة والمعونة :

المعونة هى أمر خارق للعادة يظهره الله على يد من لم يعرف بالصلاح والتقوى من العوام الذين لا هدف لهم إكراماً لهم وتخليصاً من شدة نازلة بهم كنزول المطر بعد انحباسه أو رفعه بعد نزوله . بشرط أن يكون غير معتاد حصول في ذلك الوقت الذى ظهر فيه

والفرق بينهما واضح فلا ادعاء للنبوة ولا تحدى ولا مقارنة للدعوى إلى غير ذلك من قيود النبوة.

رابعاً : الفرق بين المعجزة والاستدراج :

الاستدراج أمر خارق يظهر على يد الفسقة ممن يدعون الألوهية كذبا يظهره الله على وفق دعواهم استدراجا لهم ، وابتلاء للمكلفين .

والله تعالى يجرى الخارق على يديه تكذيباً له فالفرق بين المعجزة التى يظهرها الله على يد مدعى النبوة صدقا وبين هؤلاء المارقين عن الأديان الذين سولت لهم أنفسهم التشبيه بالإله القادر ، وهم اضعف خلق الله تعالى هو واضح تمام الوضوح(٤) .

خامساً : الفرق بين المعجزة والاهانة :

الاهانة أمر خارق يظهر على يد مدعى النبوة كذباً إهانة له . فالنبى حينما يقول أنا نبى وآية صدقى انشقاق القمر أو فلق البحر ويظهر الله على يديه هذه الخوارق دل ذلك على أنه نبى مرسل اما المتنبئ الكذاب إذا قال آية صدقى أن أبصق في هذا البحر فيزداد ماؤه ويأتى بالخارق على عكس المطلوب فيذهب ماؤه فيذعن الحاضرون بتكذيبه ، وقد وقع لمسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة بعد رسول ﷺ .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم : ٣٧ .

(٢) العقائد الإسلامية ـ السيد سابق ص ١٨٧ .

(٣) الفرق بين الفرق ـ الإمام عبد القاهر البغدادى ص ٣٠٣ .

(٤) النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد عبد العال ص ٦٧ .

حيث دعى للأعور أن تبرأ عينيه فعميت السليمة وقد جاء هذا على عكس مراده حتى لا يتطاول هذا وأمثاله على مقام النبوة الذى يصطفي الله له من يشاء من عبادة[1] . قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[2] .

سادساً : الفرق بين المعجزة والسحر :

السحر في اللغة : عبارة عما لطف وخفى سببه وخدع به .

وفى الشرع : هو مختص بكل أمر يخصه سببه وتخيل في غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع .

وقد اختلف المتكلمون في حقيقة السحر هل هو خارق للعادة أم لا فبعض المتكلمين ومنهم صاحب المواقف يرون أن السحر خارق للعادة يظهره الله على يد نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة .

وبعض المتكلمين ـــ يرى أن السحر ليس خارقاً للعادة ، وإنما يحصل بالتعليم ومباشرة أشياء لو مارسها الشخص لعرف السحر .

وأيا كان السحر خارقاً أم غير خارق فإن الفرق بينه وبين المعجزة واضح . إذ المعجزة أمر خارق باتفاق الملليين ، والسحر ليس خارقاً على رأى البعض ، والمعجزة يظهرها على يد مدعى النبوة مقرونا بالتحدى . أما السحر فيظهر على يد الفسقة بمساعدة مردة الشياطين .

ولهذا تبين من شروط المعجزة والفرق بينها وبين غيرها من الخوارق الأخرى وهو عدم وصول واحد منها إلى درجة التحدى والمعارضة والظهور على يد نبي[3] .

الفرق بين معجزة القرآن الكريم ومعجزة الرسل السابقين :

أولاً : أن معجزة القرآن الكريم تختلف عن معجزات الرسل السابقين ، فمعجزات الرسل السابقين خرقت النواميس وتحدت وأثبتت أن الذى جاءت على يديه رسول صادق من عند الله تعالى ولكنها معجزات كونيه من رآها فقد آمن بها ومن لم يراها صارت عنده خبراً .

أن شاء صدقه وان شاء لم يصدقه ، ولو لم ترد في القرآن الكريم لكان من الممكن أن يقال أنها لم تحدث .

إذن فالمعجزة الكونية الحسية (أى التى يحس بها الإنسان ويراها) تقع مرة واحدة من رآها فقد آمن بها ومن لم يراها تصبح خبراً بعد ذلك .

ولكن معجزة النبى ﷺ معجزة عقلية باقية خالدة يستطيع كل واحد أن يقول محمد رسول الله ﷺ وهذه معجزته القرآن الكريم .

---

(١) دراسات في العقيدة وعلم الكلام ـــ طبعة وزارة الأوقاف ص ١٢٧ .

(٢) سورة الحج آية رقم : ٧٥ .

(٣) النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد عبد العال ص ٦٩ .

ثانياً : إذا نظرنا إلى المعجزات السابقة وجدنا هذه المعجزات فعلاً من أفعال الله ، وفعل الله من الممكن أن ينتهى بعد أن يفعله الله ، فقد انشق البحر لسيدنا موسى عليه السلام ثم عاد إلى طبيعته والنار لم تحرف سيدنا إبراهيم عليه السلام ولكنها عادت إلى خاصيتها بعد ذلك .

ولكن معجزة النبى ﷺ صفة من صفات الله تعالى وهى كلامه ، والفعل باق بإبقاء الفاعل له ، والصفة باقية ببقاء الفاعل نفسه .

ثالثاً : أن كل رسول كانت له معجزة وله كتاب منهج ، فمعجزة سيدنا موسى عليه السلام العصى ومنهجه التوراة ، ومعجزة سيدنا عيسى عليه السلام الطب ومنهجه الأنجيل .

ولكن رسول الله ﷺ معجزته هى عين منهجه ليظل المنهج محروساً بالمعجزة وتظل المعجزة في المنهج .

ومن هنا فقد كانت الكتب السابقة للقرآن واصلة في نطاق التكليف بمعنى أن الله سبحانه وتعالى كان يكلف عباده بالمحافظة على الكتاب أما القرآن الكريم فقد قال الله سبحانه وتعالى عنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] ، ولكن لماذا تولى الله عز وجل بنفسه حفظ هذا الكتاب يرجع ذلك للأسباب الآتية :

أولاً : لأن القرآن معجزة وكونه معجزة لابد أن يبقى بهذا النص وإلا ضاع الإعجاز .

ثانياً : لأن الله عز وجل جرب عباده في الحفاظ على الكتب السابقة فنسوا حظا مما ذكروا به ، والذين لم ينسوه كتموا بعضه والذين لم يكتموه يلوون ألسنتهم به ويحرفونه عن مواضعه[2] .

القرآن الكريم يتحدى العرب :

لقد جاء القرآن الكريم من جنس ما نبغ فيه العرب ، وقد عرفوا هؤلاء بالبلاغة والفصاحة وحسن الأداء ، وجمال المنطق وسلامة التعبير فيتحداهم القرآن الكريم في هذا ، فلما سمعوه انبهروا ، ولكن العناد أوقفهم ، فقالوا ساحر والرد هنا بسيط جداً ـــ هل يملك المسحور اختياراً مع الساحر ؟

إذا كان سيدنا محمد ﷺ ساحراً فقد سحر الناس فلماذا لم يسحركم انتم حتى تتبعوه ؟ أن المسحور لا يخضع للساحر بإرادته ولا يأتى ليقول له سأصدق هذا السحر واكذب بهذا السحر .

إنما المسحور مسلوب الإرادة أمام الساحر فكونكم تقولون أنه ساحر وأنتم لا تؤمنون به دليل على أنكم كاذبون .

ثم قالوا شاعر ـــ ولكن سيدنا محمد ﷺ لم يقل الشعر في حياته ، وأنتم تعرفون ذلك فلماذا فجأة تتهمونه بالشعر .

ثم قالوا مجنون ـــ وهل المجنون يكون على خلق ؟

---

(١) سورة الحجر آية رقم : ٩ .

(٢) معجزة القرآن ـــ الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٩ .

إنك لا تعرف إذا كان المجنون سيشتمك أم يقذفك بحجر ، لا تعرف ماذا سيفعل معك في الدقيقة التالية فهل المجنون يكون على خلق عظيم كالنبى ﷺ الذى يعرفون خلقه جيداً ، والذى كانوا يلقبونه قبل الرسالة بالصادق الأمين .

الذى حدث أنهم انبهروا وذهلوا ودهشوا وهم ملوك البلاغة والفصاحة وأساطينها فجاءهم كلام أعجزهم وجدوا أنفسهم عاجزين فتخبطوا فقالوا مجنون ـــ وقالوا شاعر ـــ وقالوا أشياء لا تخضع لأى منطق ، لأنهم من قوة المفاجأة فقدوا القوة والمنطق والقرآن الكريم يواصل التحدى أن باتوا بمثله ثم يمعن في التحدى فيقول بعشر سور ثم يمعن في التحدى فيقول بسورة من مثله كان هذا هو أول إعجاز للقرآن الكريم .

معجزة تحدث القوم الذين نزل فيهم بما نبغوا فيه :

ولكن التحدى في القرآن الكريم ومعجزته ليست للعرب وحدهم ، بل هى للعالم أجمع ، ومن هنا فقد كانَ إعجاز القرآن اللغوى هو تحديه للعرب فيا نبغوا فيه ولكن التحدى لم يأتى للعرب وحدهم ، والقرآن الكريم جاء لكل الأجناس وكل الألسنة فأين التحدى لغير العرب ؟

ثم هذا الكتاب سيبقى إلى أن تقوم الساعة فلابد أنه يحمل معجزة للعالم في كل زمان ومكان ومن هنا كانت هناك معجزات للقرآن وقت نزوله وفى خلال فترة نزوله وبعد نزوله ، وهى مستمرة حتى يومنا هذا وسنستمر إلى قيام الساعة لتظهر لنا آيات الله في الأرض[1] .

القرآن الكريم يتحدى العالم أجمع : حينما جاء القرآن الكريم تحدى العالم في أشياء كثيرة

أولها : أنه مزق حواجز الغيب ـــ مزق حواجز الزمان والمكان كيف ذلك ؟

لأن حواجز الغيب ثلاثة :

١ ـــ حاجز المكان ـــ أى أن الأشياء تحدث في نفس اللحظة ولكن لا أعرف عنها شيئاً ، لأنها تحدث في مكان وأنا موجود في مكان آخر .

٢ ـــ حاجز الزمن الماضى ـــ وهو شئ حجبه عنى ومن مضى فأنا لم أشهده .

٣ ـــ حاجز الزمن المستقبل ـــ وهو الذى حجب عنى فلم أشهده .

وإذا قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضى فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة ويروى لنا قصص الرسل السابقين ، ويحكى لنا أشياء لم يكن أحد يعرفها وعلى لسان من ؟ على لسان نبى أمى لا يقرأ ولا يكتب ، يحكى إذن أسرار الماضى ويتحدى الذين يكذبون ؟ .

ويكفى أن تقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى : (وما كنت ـــ وما كنت ـــ وما كنت) لتعرف كم أخبرنا الله ورسوله بأنباء من غيب الماضى قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ

(١) معجزة القرآن ـــ الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ١٢ .

أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾[1] أى أنك لم تكن هناك يا محمد ، ولكن الله هو الذى أخبرك ومزق لك حجاب الزمن الماضى ، ويقول جل جلاله : ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾[2] . ويقول عز من قائل : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾[3] . ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[4] .

إن الإعجاز هنا جاء في تصحيح ما حدث من تحريف الكتب السماوية التى سبقت القرآن وكان سيدنا محمد ﷺ يتحدى بالقرآن الكريم أخبار اليهود ورهبان النصارى .

ويقول لهم هذا من عند الله في التوراة والإنجيل ، وهذا حرفتموه في التوراة والإنجيل ، ولم يكونوا يستطيعون أن يواجهوا هذا التحدى أو يردوا عليه ذلك أن التحدى للقرآن في تمزيق حجاب الزمن الماضي وصل إلى أدق أسرار الرسالات السماوية الماضية ، فصححها لهم وبين ما حرفوه منها وما أخفوه ، وتحداهم أن يكذبوا ما جاء في القرآن فلم يستطيعوا[5] ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[6] .

ثم جاء الأمر الثانى فمزق الله حجاب المكان لسيدنا محمد ﷺ ، وجاء في أمر من أدق الامور وهو حديث النفس فيأتى القرآن فيقول ﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ ﴾[7] .

ما معنى هذا الكلام ؟ معناه إمعان في التحدى ، فالقرآن هنا يقول لهم لقد هتكت حاجز الماضى وأخبركم بأنباء الأولين ، ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان وأخبركم بما يدور في بقعة قريبة لا تروها بل يقول سأهتك حاجز النفس وأخبركم بما في أنفسكم بما في داخل صدوركم بل بما تهمس به شفاهكم وكان يكفي لكى يكذبوا سيدنا ﷺ أن يقولوا لم تحدثنا أنفسنا بهذا لو لم يقولوها بالفعل داخل أنفسهم لكان ذلك أكبر دليل لكى وكذبوا محمد رسول الله ﷺ ويعلنوا أنه يقول كلاما غير صحيح .

إذن فالقرآن في هتكه لحجاب المكان دخل إلى أعماق النفس البشرية وإلى داخل نفوس من ؟ .

إلى داخل نفوس غير المؤمنين الذين يهمهم هدم الإسلام وقالوا في كلام متعبد بتلاوته لن يتغير ولا يتبدل قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ

---

(١) سورة آل عمران آية رقم : ٤٤ .
(٢) سورة القصص من الآية رقم : ٤٥ .
(٣) سورة القصص من الآية رقم : ٤٤ .
(٤) سورة القصص من الآية رقم : ٤٦ .
(٥) معجزة القرآن ـ الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ١٥ .
(٦) سورة مريم الآية رقم : ٣٤ .
(٧) سورة المجادلة آية رقم : ٨ .

بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] فهل هناك أكثر من هذا تحدياً لحجاب المكان ، انه تحد فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التى وصل إليها العلم الآن لاختراق حجاب المكان[2] .

ثم بعد ذلك مزق القرآن الكريم حجاب المستقبل لقد أنبأ القرآن بما سيحدث بعد أعوام قليلة ، وبما سيحدث بعد آلاف السنين ، فالذى قال هذا هو القادر العالم بان ذلك سيحدث يقينا وهو الله سبحانه وتعالى ــ انظر إلى قوله تعالى : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾[3] .

لقد نزلت سورة القمر هذه في مكة والمسلمون قلة وأذلة حتى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أى جمع هذا الذى سيهزم ونحن لا نستطيع أن نحمى أنفسنا ؟

وهكذا يتنبأ القرآن الكريم بان الإسلام سينتصر في مكة وان هؤلاء الجمع الذين تجمعوا لمحاربة الإسلام في مكة سيهزمون ويولون الأدبار وتنبأ بها منى .

والمسلمون قلة وأذلة لا يستطيعون حماية أنفسهم ويطلقها قضية وهو على يقين بأن الله الذى قال سيحققها ، وبعد ذلك نجد عجباً ــ الوليد بن المغيرة العدو الألد للإسلام والمشهور بكبريائه ومكابرته وعناده يأتى القرآن ويقول هذا الإنسان المكابر العنيد ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾[4] .

أى أنه سيقتل بضربه على أنفه ، ويحدد موقع الضربة وبعد ذلك يأتى في بدر فتراه قد وسم على خرطومه ــ أى ضرب على أنفه ، من الذى يستطيع أن يحدد موضع الضربة ومكانها ؟ من الذي يستطيع أن يجزم ماذا سيحدث بعد ساعة واحدة ؟

الأدلة على أن القرآن الكريم معجزة خالدة :

الدليل الأول : أن القرآن الكريم تحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا ولقد اخبرنا المولى عز وجل عن ذلك فقال في كتابه العزيز : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[5] .

ولم يقدر أحد على معارضة القرآن ولو عورض لتواتر ذلك سيما والخصوم أكثر من حصى البطحاء ، وأحرص الناس على إشاعة ما يبطل دعواه ، والعجز عن المعارضة هو عدم التمكن من الإتيان بمثل ما أتى به الرسل مع وجود الداعى .

---

(١) سورة المجادلة آية رقم : ٨ .

(٢) معجزة القرآن الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ١٦ وما بعدها .

(٣) سورة الفجر آية رقم : ٤٥ .

(٤) سورة القلم آية رقم : ٦ .

(٥) سورة الإسراء آية رقم : ٨٨ .

وكان الداعى إلى المعارضة قائماً عند العرب ، لأن النبى ﷺ طلب منهم ترك دينهم والتنازل عن رئاستهم ودعاهم إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام ولم يكن ذا جاه وقوة بحيث تخافه العرب ، وقد كانوا متصفين بالشجاعة وأهل فصاحة وبلاغة ، وكانوا ينهالون على المباراة والدفاع عن الأحساب والأنساب فما لهم يتركون الأمر الأسهل وهو الإتيان بمثل سورة ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (١) .

ويطلبون الأشد والأصعب مثل الحروب التى بذلوا فيها مهجتهم وأرواحهم وسلب أموالهم وسبى زراريهم ، وهذا يدل على أن القرآن الكريم معجزة خالدة دالة على صدق النبى ﷺ (٢) .

الدليل الثانى : أن القرآن الكريم تحدى أبو لهب بأنه سوف يموت كافراً ، وانه سوف يدخل النار قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ (٣) .

هذا القرآن نزل فى من ؟ نزل فى عم الرسول ﷺ وفى عدو الإسلام ؟ ألم يكن أبو لهب يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية ؟ ألم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن ؟ ضد هذا الدين ، قالت له الآية يا أبا لهب أنت ستموت كافراً ستموت مشركاً وستعذب فى نار جهنم . وكان يكفى أن يذهب أبو لهب إلى أى جماعة من المسلمين ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

يقولها نفاقا ، يقولها رياءً ، يقولها ليهدم بها الإسلام لا ليدخل فى الإسلام ، يقولها ثم يقف وسط القوم ليقول أن محمداً قد أنباءكم أننى سأموت كافراً ، وقال أن هذا كلام مبلغ له من الله ، وأنا أعلن إسلامى لأثبت لكم أن محمداً ﷺ كاذب ، وكان أبو لهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا .

ولكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبى لهب على الوصول إليه بل بقى كافراً مشركاً ومات وهو كافراً . ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافراً أمراً ممكناً .

لأن كثيرا من المشركين اهتدوا إلى الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعمر بن الخطاب وغيرهم ، كانوا مشركين وأسلموا فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالذات لن يسلم ولو نفاقاً وسيموت وهو كافراً ؟

المعجزة هنا أن القرآن الكريم أخبرنا بما سيقع من عدو وتحداه فى أمر اختيارى كان من الممكن أن يقوله ، ومع ذلك هناك يقين أن ذلك لن يحدث لماذا ؟

---

(١) سورة الكوثر آية رقم : ١ .

(٢) النبوة في الفكر الإسلامى ـ د / سمير حامد عبد العال ص ١٠٢ .

(٣) سورة المسد .

لأن الذى قال هذا القرآن يعلم أنه لن يأتى إلى عقل أبى لهب تفكير يكذب به القرآن هل هناك إعجاز أكثر من هذا[1] .

وهذا أن دل على شئ فإنما يدل على أن القرآن الكريم معجزة خالدة وباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتدل دلالة صادقة على صدق النبى ﷺ وصدق بنوته .

الدليل الثالث : التصوير الفنى في القرآن الكريم : المقصود به هو الأداة المفصلة في أسلوب القرآن فليس هو حلية أسلوب ولا فلته تقع حيثما اتفق وإنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة وحقيقة شاملة وطريقة معينة تستخدم بقرائن شتى ، وفى أوضاع مختلفة ، ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة قاعدة التصوير .

ويجب أن نتوسع في معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير الفنى في القرآن الكريم ، فهو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة وتصوير بالإيقاع ، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان وهو تصوير حى منتزع من عالم الأحياء ، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة ، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات ، فالمعانى ترسم وهى تتفاعل في نفوس آدمية حية أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة[2] ، وهذا أمر يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم معجزة خالدة

تعقيب : من خلال ما سبق يتضح ما يلى :

أولاً : أن إعجاز القرآن الكريم كما يدل عليه لفظه وتاريخه هو دليل النبى ﷺ على صدق نبوته ، وعلى أنه رسول من الله يوحى إليه هذا القرآن .

وأن النبى ﷺ كان يعرف إعجاز القرآن من الوجه الذى عرفه منه سائر من آمن من به ممن قومه من العرب ، وأن التحدى الذى تضمنته آيات التحدى إنما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه ، لا شئ خارج عن ذلك فما هو يتحد بالأخبار بالغيب المكنون ولا بالغيب الذى يأتى تصديقه بعد دهر من تنزيله ، ولا يعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب ، ولا بشئ من المعانى بما لا يتصل بالنظم والبيان .

ثانياً : أن إثبات دليل النبوة وتصديق دليل الوحى وأن القرآن تنزيل من عند الله كما تنزلت التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه لا يكون منها شئ يدل على أن القرآن معجز ، ولا أظن أن قائلا يستطيع أن يقول أن التوراة والإنجيل والزبور كتب معجزة بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن . من أجل أنها كتب منزلة من عند الله تعالى .

---

(١) معجزة القرآن ــ الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٢٢ .

(٢) التصوير الفنى في القرآن ــ الشيخ سيد قطب ص ٣٥ .

ومن البين أن العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة رسول الله ﷺ ودليل صدق الوحى الذى يأتيه بمجرد سماع القرآن نفسه لأنه يجادلهم به حتى يلزمهم الحجة في توحيد الله تعالى أو تصديق نبوته . ولا معجزة كمعجزات إخوانه من الأنبياء بما آمن على مثله البشر .

وقد بين الله في غير آية من كتابه أن سماع القرآن الكريم يقتضيهم إدراك مباينته لكلامهم وأنه ليس من كلام البشر بل هو كلام رب العالمين .

وبهذا جاء الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن[2] .

---

(١) سورة التوبة آية رقم : ٦ .

(٢) مداخل إعجاز القرآن أ / أبو نهر محمود محمد شاكر ص ١٥٣ .

المبحث الثالث

أوجه الإعجاز في القرآن الكريم

لقد أجمع الناس سلفهم وخلفهم على أن القرآن الكريم ، معجز إلا أنهم اختلفوا في وجه إعجازه ، وهذه بعض الآراء التى يبين كل رأى منها عن وجه الإعجاز في القرآن الكريم حسب ما يراه صاحبه[١] .

الوجه الأول : قيل أن وجه إعجاز القرآن الكريم هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب والأسلوب العجيب المخالف لنظم العرب وأسلوبهم[٢] .

وهو ما امتاز به القرآن الكريم والذى لم يألف العرب مثله من قبيل في شعرهم أو نثرهم فالذى يطالع أوائل سور القرآن الكريم وآياته وأواخر السور ، وكذلك قصصه يجدها مترابطة متناسقة كأنها درر منظومة في جمالها وجلالها وروعتها[٣] .

وزعم النظام وهو من فرقة المعتزلة أن القرآن معجز بما فيه من الأخبار بالغيب أما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحداثهما فيهم[٤] .

وزعم أكثر القدرية أن الناس قادرون على مثل القرآن ، وعلى ما هو أبلغ منه في الفصاحة والنظم وقد أكذبهم الله عز وجل في ذلك بأن تحدى المشركين بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، ولا يكون في في الافتراء تحقيق عيب فدل على أنه إنما أراد به تحقيق إعجازه من جهة النظم والفصاحة ، فإن قيل أن فصاحة القرآن لا يعرفها إلا العرب فكيف عرفت العجم وجه الإعجاز فيه ، قيل إذا علمت العجم أن العرب أهل اللسان وقد عجزوا عن معارضته فيه علموا كونه معجزاً كما أن السحرة لما عجزت عن معارضة سيدنا موسى عليه السلام في عصاه عرف غيرها وجه الإعجاز في العصا ، وأنها ليست بسحر لأنها لو كانت سحراً لعارضته السحر ة بمثلها ، كذلك العجم يلم أن القرآن لو كان من جنس كلام البشر لقدر على مثله أهل اللغة[٥] .

الشبهة الواردة على هذا الوجه :

قالوا عن كون الإعجاز فصاحته وأسلوبه ونظمه ويمكن محاكاته خصوصاً بعد سماعه ، فإيجاد مثله بعد سماعه سهل ، فإن من سمع خطبة مسيلمة الكذاب فقال : الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وبين وخرطوم طويل ، وقال أيضاً : والزارعات زرعاً فالحاصدات حصداً فالطابخات طبخاً فالآكلات أكلاً .

---

(١) دراسات العقيدة الإسلامية والأخلاق تأليف لجنه من قسم العقيدة بجامعة الأزهر ص ١٤٦

(٢) المواقف في علم الكلام عبد الرحمن الأيجى ص ٣٤٩ .

(٣) النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد عبد العال ص ١٠٥ .

(٤) مقالات الإسلاميين ــ الإمام الأشعرى ج١ ص ٢٩٦ .

(٥) أصول الدين ــ الإمام أبي منصور البغدادى ص ١٨٤ .

الرد على هذه الشبهة :

أولاً : أن أرباب البيان وهم الفصحاء في عصره لم يعارضوه مع حرصهم على المعارضة ولو قدروا عليها لأظهرها وأغنتهم عما فعلوه مع الرسول ﷺ من الأذى والاضطهاد والوقوف في وجه دعوته .

ثانياً : أن كلام مسيلمة هو هراء وصادر عن حماقة وسفه وقد عرف العرب ذلك فلم يقيموا لهذا الهراء وزناً بل قالوا أن هذا الكلام لا يصدر عن عاقل[1] .

الوجه الثاني : قيل أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم هو بلاغته ونعني ببلاغته ما اشتمل عليه أسلوبه من أنواع المعاني والبيان والبديع بما يحدث في النفس من التأثير الذى لا يحدثه غيره من الكلام[2] .

وآيات القرآن الكريم هي خير شاهد على ذلك قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3] .

فجمع الله سبحانه وتعالى في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين وعندما قرئ على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سورة طه انشرح صدره للإسلام وسأل عن رسول الله ﷺ فقيل له في دار الأرقم بن الأرقم المخزومى ، فذهب إليه سريعاً ونطق بالشهادتين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه على الفور[4] .

الشبهة الواردة على هذا الوجه :

قالوا لو نظرنا إلى خطبة من بليغ أو قصيدة من شاعر ، وصرفنا النظر عن الوزن المخصوص وقارنا ذلك بأقصر سورة يصح بها التحدى لم يظهر الفرق بينهما واضحاً بل ربما كانت القصيدة أو الخطبة أبلغ مع أن القرآن الكريم لابد أن يظهر فيه الفارق ثم أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اختلفوا في بعض سور القرآن الكريم هل هي منه أم لا وقال ابن مسعود أنها ليست من القرآن .

ولو كان القرآن معجزاً ببلاغته لتميزت هذه السور ببلاغتها فتكون من القرآن أو بعدم بلاغتها فلا تكون منه ، وعلى هذا فلا يحصل الخلاف .

---

(١) محاضرات في التوحيد د / عابد منصور عابد ص ٢٣ .

(٢) دراسات في علوم القرآن د / محمد بكر إسماعيل ص ٣٥٢ .

(٣) سورة القصص آية رقم : ٧ .

(٤) معجزات النبى ﷺ أ / طه عبد الرؤوف سعد ص ٣٢ .

الرد على هذه الشبهة :

أن البلغاء حينما سمعوا القرآن الكريم حتى أقصر سورة منه أقروا بالعجز وهم الذين يعرفون قيمة الكلام وبلاغته والتميز بين مراتب البلاغة ، أما غيرهم ممن لا دراية له بالبلاغة فلا امتداد به ، ويكفي في إعجاز القرآن عجز أعلام البلاغة من معارضته وشهادتهم له .

فقد استمع الوليد بن المغيرة إلى القرآن الكريم وقد كان الوليد من ألد أعداء الإسلام فقال مادحاً للقرآن ، أن له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وانه يعلو ولا يعلى عليه ، وقال عرضت هذا الكلام على خطب الخطباء وشعر الشعراء فلم أجده منها .

لكن الوليد مع هذا غلبت عليه شقوته وناقض نفسه بنفسه حتى نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾[1] .

على أن قياس أبلغ خطبة أو قصيدة بأقصر سورة ظلم ، بل المدار قياس أقصر سورة بأقصر خطبة ، حتى لو قيس ذلك بمثله من القرآن في الطول أو القصر لوجد الفرق واضحاً ، والذى يعرف بذلك هم أرباب الفن وقد حكموا واعترفوا لأن أى كلام من الخطباء أو الشعراء لا يخلو من تصور يفوت به حسن البلاغة وأما ما زعموه من أن الصحابة اختلفوا في الفاتحة والمعوذتين .

فإنا نقول ــ بأن القرآن كله نقل متواتراً ، ولم يحصل خلاف من الصحابة في بعض سوره ورواية ابن مسعود على فرض صحتها لا يلتفت إليها ، لأن الآحاد لا تعارض الثابت بالتواتر ، والأصح أن رواية ابن مسعود مختلفة عليه[1] .

الوجه الثالث : قيل أن القرآن الكريم معجز لأنه يتضمن من الأخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان نحو قوله سبحانه : ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾[3]، وقوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[4] .

ونحوهما من الأخبار التى صدقت أقوالها مواقع أكوانها قلت ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه ، ولكنه ليس بالأمر العام الوجود في كل سورة من سوره

---

(١) سورة المدثر آية رقم : ١٦ .

(١) النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد عبد العال ص ١٠٨ .

(٢) سورة الروم آية رقم : ١ ــ ٣ .

(٣) سورة الفتح آية رقم : ١٦ .

(٤) سورة الفتح آية رقم : ٢٧ .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى في صفة كل سورة أن يكون معجزه بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثلها فقالوا : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] من غير تعيين فدل على أن المعنى منه غير ما ذهبوا إليه[2] .

الشبهة الواردة على هذه الوجه :

قالوا لقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من السور التى ليست إخبار بالغيب ، فكيف تقولون أن القرآن معجز لإخباره عن الغيب ؟

وبخلو بعض السور من الأخبار بالغيب لا يكون معجزاً ، وقالوا أن الأخبار بالغيب يقع من المنجمين والكهنة ، فهم يخبرونعن الكسوف والخسوف ونزول المطر في المستقبل وليس ذلك بمعجزة اتفاقاً

وقالوا قد يحدث ذلك من الولى ، ومن بعض الناس صدفة مرة أو مرتين ، ولا يعرف مقدار الإعجاز به إلا إذا تكرر ومراتب التكرار غير معلومة حتى يكون معجزاً[3] .

الرد على هذه الشبهة :

أن القرآن الكريم معجز لاشتماله على الإخبار بالغيب ولا يقدح في ذلك كون بعضه خالياً من الإخبار بالغيب ، لأنه يكون معجزاً من وجه آخر ، أما ما يحدث من بعض المنجمين بإخبارهم عن الكسوف والخسوف ونزول المطر ، فذلك شئ ناشئ عن علم بالحساب فلما يخطئ ويمكن لمن مارسه أن يكون منجماً ، فعلم التنجيم من العلوم التى يمكن تحصيلها بالدراسة والممارسة .

أما الولى فإن حصل منه إخبار بالغيب فذلك كرامة له ، لأنه ليس مدعياً للنبوة وقد قلنا أن ما يظهر على يد الولى ليس كرامة والقرآن معجزة وليس كرامة .

هذا وقد تكرر الإخبار عن الغيب في القرآن كثير ولم يسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم من أحد[4] . قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا ﴾[5] .

الوجه الرابع : قيل أن وجه إعجاز القرآن الكريم هو عدم اختلافه وتناقضه مع طوله وامتداده[6] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم : ٢٣ .

(٢) بيان إعجاز القرآن الكريم ــ أبى سليمان الخطابى ص ٢٣ .

(٣) المواقف في علم الكلام ــ عبد الرحمن الإيجى ص ٣٥١ .

(٤) الإسلام يتحدى ــ وحيد الدين خان ص ١٧٨ .

(٥) سورة هود آية رقم : ٤٩ .

(٦) المواقف في علم الكلام ــ عبد الرحمن الايجى ص ٣٥٠ .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1] بخلاف القصيدة أو الخطبة فلا تسلم من التناقض والاختلاف في أجزائها مما يدل على أن القرآن معجز من هذا الوجه .

الشبهة الواردة على هذا الوجه :

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾[2] ، وفيه ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾[3] . مع أن القرآن الكريم فيه الشعر وذلك بمثل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[4] .

فلو حذفت منه حرفاً لكان من بحر المتقارب وما دام القرآن قد اشتمل على الشعر وقد جاء فيه أنه ليس بشعر فهذا عين التناقض ، فلا يكون القرآن الكريم معجزاً وقالوا أن في القرآن اختلافاً ، وقد نفيتم الاختلاف فيه ، فمن الاختلاف بالصحة وعدمها قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[5] .

قال عثمان رضى الله عنه أن في القرآن لحناً وستقيمه العرب بألسنتها .

ومن الاختلاف في المعنى ﴿ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[6] بصيغة النداء للرب والأمر وربنا باعد بين أسفارنا بصيغة الماضى والقراءتان مختلفتان وقالوا أن فيه كذباً ــ وقد نفيتم الكذب فيه ومن هذا قوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[7] .

مع أنه ليس فيه كل العلوم من الرياضيات والطبيعيات وغيرها كما أنه لم يشتمل على الحوادث اليومية ، فلا يكون مطابقا للواقع .

وقالوا أن فيه تكراراً بلا فائدة كما في سورة الرحمن وقصة موسى وفرعون وفيه إيضاح الواضح ، كما في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[8] .

الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه :

الأول : قولهم أن في القرآن شعراً نقول : أن ما ورد في القرآن ليس على وزن الشعر ، وإنما يصير إليه بتغيير ما ، إما بالإشباع أو الزيادة أو الحذف والقرآن لا يحدث فيه مثل ذلك فلا تغيير فيه ولا تبديل وإنما يقرأ كما نزل على النبى ﷺ[9] .

---

(١) سورة النساء آية رقم : ٨٢ .
(٢) سورة الحاقة آية رقم : ٤٦ .
(٣) سورة يس آية رقم : ٦٩ .
(٤) سورة الطلاق آية رقم : ٢ .
(٥) سورة طه آية رقم : ٦٣ .
(٦) سورة سبأ آية رقم : ١٩ .
(٧) سورة الأنعام آية رقم : ٣٨ .
(٨) سورة البقرة آية رقم : ١٩٦ .
(٩) النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد عبد العال ص ١١٨ .

ثم أن الشعر ناقص وزنه وتناسيت مصارفه وانحدر رويه ، وما يتبع من ذلك في نثر البلغاء اتفاقا على الشذوذ لا يعد شعراً ولا قائله شاعراً ، ومن قال لغلامه ادخل السوق واشتر اللحم واطبخ لم يعد بهذا القدر شاعر ضرورة[1] .

ثانيا : قولهم أن في القرآن اختلافاً فهذا قول مردود لأن الاختلاف الذى يقولون به في قوله أن هذا الساحران فهناك لغة تلزم المثنى حالة واحدة بالألف في جميع الأحوال ، ومنه قول الشاعر :

أن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

والشاهد في البيت غايتاها حيث نصب المثنى بالألف وأما عن قوله : ﴿ رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ . فالقرآن نزل على سبعة أحرف كلها كاف وشاق كما اخبر بذلك النبى ﷺ أما عن قول عثمان رضى الله عنه ــ أن في القرآن لحناً المراد ب اللحن في الكتابة والخط[2] .

ثالثا : الكذب الذى يدعونه في قوله : ما فرطنا في الكتاب من شئ مردود بقولنا : أن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وفيه كل شئ أو أن المراد ما فرطنا في الكتاب من شئ من العام مراداً به الخاص .

رابعا : قولهم : أن في القرآن تكرار بلا فائدة مرفوض لأن في التكرار فوائد كثيرة منها التأكيد وتقرير المعنى وتصويره بصور مختلفة والقدرة عن التعبير عن المعنى ، الواحد بعبارات مختلفة إيجازاً أو إطنابا وذلك نوع من أنواع البلاغة وهو وجه من أوجه الإعجاز .

خامسا : قولهم أن في القرآن الكريم توضيح الواضح فلا صحة لهذا القول ــ لأن ما ورد في قوله فتلك عشرة كاملة ــ ليس توضيح الواضح وإنما هو لدفع أن يتوهم أن المراد بالسبع الثلاث مضموناً إليها أربعة فقال : فتلك عشرة كاملة دفعاً لهذا التوهم[3] .

الوجه الخامس : قيل فيه أن القرآن الكريم معجز بالصرفة . وهى صرف الهمم عن المعارضة . وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التى دلت على النبوة ، وهذا عندنا أجد وجوه الإعجاز التى يظهر منها للعقول[4] .

الشبهة الواردة على هذا الوجه :

قالوا لقد أجمعتم على أن القرآن معجزو على هذا القول يكون الصرف هو العجز وليس القرآن لأن النبى ﷺ لو قال معجزى أن أقوم وانتم لا تقدرون على القيام فقام وعجزوا لكان القيام غير معجز بل عجزهم عن القيام هو العجز ، فالعجز هنا الصرف وليس القرآن .

---

(١) المواقف في علم الكلام عبد الرحمن الايجى ص ٣٥٥ وما بعدها .
(٢) التفسير الكبير ــ الإمام الفخر الرازى ج٢٢ ص ٧٤ .
(٣) النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد عبد العال ص ١١٩ .
(٤) النكت في إعجاز ــ القرآن ــ أبى الحسن على الرمانى ص ١١٠ .

الرد على هذه الشبهة :

أولاً : لقد تعرض القائلون بالصرفية لهجوم كبير على بعض المتكلمين ، وأنكروا عليهم هذا القول وكثير من علماء الكلام لا يرون أن هذا وجه إعجاز القرآن الكريم[1] .

وفى ذلك يقول الايجى : أن الإعجاز ليس بها ولكن تدعيها أو ندعى كون القرآن معجزاً وأياما كان يحصل بالمطلوب[2] .

ثانياً : أن العرب كانوا قادرين على التكلم بمثل مفردات السورة القصيرة مثل ــ الحمد لله رب العالمين ــ لكن الله سلب منهم تلك القدرة ومنى عجزوا بإعجاز الله لهم وليس بالصرف هو المعجز[3] .

القدر الذى يتم به الإعجاز من القرآن الكريم :

لقد تحدى الله العرب أولاً : عن الإتيان بمثل القرآن فقال سبحانه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[4] . والحديث كلام يطلق على القليل والكثير .

ثم تحداهم بعشر سور مفتريات وذلك كما قالوا أن محمداً يفترى القرآن فقال جل جلاله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[5] . أى فأتوا بعشر سور من مفترياتكم لا تلتزمون فيها الحكمة ولا الحقيقة ، وليس إلا النظم والأسلوب .

ثم تحداهم بسورة مثله فقال جل جلاله ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله أن كنتم صادقين ﴾[6] .

وبلغ التحدى أشده في سورة البقرة حيث طلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله وان يستعينوا في ذلك بشهدائهم ، وسجل عجزهم عن الإتيان بها على وجه التأكيد والتأييد مع الإنذار والتهديد والوعيد فقال جل شأنه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[7] .

---

(١) النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد عبد العال ص ١٢١ .
(٢) المواقف في علم الكلام ــ عبد الرحمن الايجى ص ٣٥٥ .
(٣) النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد عبد العال ص ١٢٢ .
(٤) سورة الطور الآيات رقم : ٣٣ ــ ٣٤ .
(٥) سورة هود آية رقم : ١٣ .
(٦) سورة يس آية رقم : ٣٨ .
(٧) سورة البقرة آية رقم : ٢٣ ــ ٢٤ .

ثم سجل الله على الخلق جميعاً عجزهم عن معارضته ليكون ذلك التحدى باقياً ما بقى القرآن فقال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1] .

ومن هذه الآيات الكريمة نعلم أن التحدى وقع بالقرآن كله وبعشر سور منه وبسورة واحدة . فدل ذلك على أن الإعجاز يقع بسورة مثل سورة الكوثر أو بآية تساويها في طولها[2] .

تعقيب :

أن الحق الذى لا ريب فيه واليقين الذى لا شك فيه أن القرآن الكريم يحتوى على مليارات المعجزات ، فإن كل آية منه ، بل كل كلمة تمثل إعجازا في موضوعها وبيانها أحيانا رقمها وتارة إخبارها أن كانت من آيات القصص[3] .

وهكذا تنكشف للناظر في القرآن الكريم آفاق وراء آفاق من التناسق والانساق فمن نظم فصيح إلى سرد عذب إلى معنى مترابط إلى نسق متسلسل إلى لفظ معبر إلى تعبير صور إلى تصوير مشخص إلى تخييل مجسم إلى موسيقى منغمة إلى اتساق في الأجزاء إلى تناسق في الإطار إلى توافق في الموسيقى إلى تفنن في الإخراج ، وبهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز[4] .

لأن القرآن الكريم بلاغته من عند الله تعالى خالق كل شئ القادر على كل شئ والخالق للناس وبيئاتهم فكان في كلامه المبين كل أجناس القول ومناهج البيان بلا تفاوت في البلاغة القرآنية وان اختلفت ألوان الألفاظ وأجناسها بين جزل قوى وعذب سهل وكلام مرسل ينساب في النفس انسياب النمير وكل في موضعه[5] .

---

(١) سورة الإسراء آية رقم : ٨٨ .

(٢) دراسات في علوم القرآن د / محمد بكر إسماعيل ص ٣٦١ .

(٣) معجزات الرسول ﷺ د / مصطفى مراد ص ٢٦٠ .

(٤) التصوير الفنى في القرآن ــ الشيخ سيد قطب ص ١١٨ .

(٥) المعجزة الكبرى القرآن ــ الإمام محمد أبو زهرة ص ١٤١

المبحث الرابع

الإعجاز العلمى في القرآن الكريم

مفهوم الإعجاز العلمى في القرآن الكريم :

يعرف الإعجاز بأنه إظهار صدق الرسل عليهم السلام بإظهار أموراً على أيديهم يعجز البشر عن معارضتها ، وأما العلم فيعرف بأنه إدراك الأمور على حقائقها .

ويمكن أن نعرف الإعجاز العلمى في القرآن الكريم بأنه إظهار صدق الرسول محمد ﷺ بما جاء به الوحى إليه من علم إلهى ثبت تحققه ، ويعجز البشر عن نسبته إلى سيدنا محمد ﷺ أو إلى مصدر بشرى ، وذلك لكونه علما إليهاً لا يصدر إلا من العلم الحكيم .

العلاقة بين علم الكلام وقضية الإعجاز العلمى في القرآن الكريم :

أن قضية الإعجاز العلمى في القرآن الكريم تتحد مع علم الكلام في الغاية التى تهدف إليها من كون كل منهما يساعد على قيام أدلة صدق الرسول ﷺ وتقوى الاعتقاد اليقينى للمؤمن[1] ، وبيان ذلك ما أشار إليه الايجى في مواقفه فنراه يلخص الغاية من علم الكلام في خمسة أمور :

الأول : الترقى من حضيض التقليد إلى ذروة الإتقان .

الثانى : إرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة وإلزام المعاندين بإقامة الحجة .

الثالث : حفظ قواعد الدين من أن تزلزلها شبه المبطلين .

الرابع : يبنى عليه العلوم الشرعية فهو أساس لهما .

الخامس : صحة التثبت والاعتقاد إذ بها يرجى بقبول العمل[2] .

وكذلك الإعجاز العلمى في القرآن الكريم نوع من الطرق المؤدية إلى هذه الأمور التى ذكرها العلامة الايجى فالوصول إلى الحقيقة العلمية يؤدى إلى اليقين ، واليقين هو العلم الصادق والحق الثابت ، وله مراتب ثلاثة وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم .

الأول : علم اليقين ــ لقوله تعالى ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾[3] .

الثانى : عين اليقين ــ لقوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾[4] .

الثالث : حق اليقين ــ لقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[5]

---

(١) الإعجاز العلمى في القرآن د / عابد منصور عابد ص ١٥ .

(١) المواقف في علم الكلام ــ عبد الرحمن الايجى ص ٨ .

(٣) سورة التكاثر آية رقم : ٥ .

(٤) سورة التكاثر آية رقم : ٧ .

(٥) سورة الواقعة آية رقم : ٩٥ .

بل أن كل مدافع عن عقيدة الإسلام لابد أن يكون لديه خلفية عن قفية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

وكذلك أيضا هناك فوائد حجة في الوقوف على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بالنسبة لمجال الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام في أقطار العالم وربوعه لاسيما ونحن في عصر العلم التجريبي[1] .

أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : تتمثل أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فيما يلي :

أولا : في التوافق بين ما في نصوص الكتاب والسنة وبين ما كشفه علماء الكون من حقائق كونية وأسرار علمية لم يكن في إمكان بشر أن نعرفها وقت نزول القرآن .

ثانيا : تصحيح الكتاب والسنة لما شاع بين البشرية في أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الخلق لا يكون إلا بعلم من أحاط بكل شئ علماً .

ثالثا : إذا جمعت نصوص الكتاب والسنة وجدت بعضها يكمل البعض الآخر ، فتتجلى بها الحقيقة ، مع أن هذه النصوص نزلت مفرقة في الزمن وفي مواضعها من الكتاب الكريم وهذا لا يكون إلا من عند الله الذى يعلم السر في السموات والأرض .

رابعا : سن التشريعات الحكيمة الى تخفى حكمتها على الناس وقت نزول القرآن ، وتكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات .

خامسا : عدم الصدام بين نصوص الوحى القاطعة التى نصف الكون وأسراره على كثرتها ، وبين الحقائق العلمية المكتشفة على وفرتها مع وجود الصدام الكثير بين ما يقوله علماء الكون من نظريات تتبدل مع تقدم الاكتشافات ، ووجود الصدام بين العلم وما قررته سائر الأديان المحرفة[2] .

وصدق الله العظيم حينما قال في كتابه الجليل : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[3] .

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د / عابد منصور عابد ص ١٧ .

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د / عابد منصور عابد ص ٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت الآيات : ٤٨ ــ ٥٢ .

والعلاقة بين آيات الحق في القرآن والكون تجمع في ترابط محكم بين إعجاز السبق والبيان في كتاب الإسلام الخالد وإعجاز القدرة الإلهية في كتاب الكون اللانهائي ليدلى كل إعجاز لشهادة تسليم وتصديق للآخر وليكون في الإعجاز من عبرة لكل ذى عقل رشيد ، أو لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فكما أن الأدلة القاطعة برهنت على أن القرآن الكريم لا يمكن إلا أن يكون من عند الله الواحد بدليل عدم الاختلاف بين آياته .

كذلك فإن النظام الكونى المعجز بكل ما فيه من تدبير وإحكام لا يمكن إلا أن يكون من صنع الله الذى أتقن كل شئ[1] .

صور من الإعجاز العلمى في القرآن الكريم :

أولا : كيف تيسر لمحمد بن عبد الله الأمي ﷺ أن يعرف ولم يكن كيميائيا تلك المعادلة الهائلة أم الحقائق الأرضية كلها التى تقول ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حى ﴾[2] هل كان في مقدوره أن يعرفها إلا بمعونة من السماء .

ثانيا : كيف تيسر لمحمد بن عبد الله ﷺ ربيب البادية أن يعرف ولم يكن كيميائيا تلك الحقيقة الهامة ــ أن عسل النحل فيه شفاء للناس قال تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[3] .

مع العلم أن سيدنا محمد ﷺ لم يكن يحلل عناصره ولا أجرى تجارب كالتى أجراها علماء أمريكا وروسيا وأوربا في هذه الأيام فأقامت بعد ثبوت هذه الحقيقة ــ المعاهد العليا المتخصصة لدراسة عناصر العسل التى ثبت بعدها أنه شفاء أكثر الأمراض البشرية واللابدنية في الدنيا لشفاء الأمراض مركب آخر .

هل كان في مقدور محمد ﷺ أن يعرف ذلك وحده دون تجارب معمل في الأرض إلا بمعرفة من علام الغيوب جل جلاله[4] .

ثالثا : أن الله سبحانه وتعالى يقول للعالم أجمع سأعطيكم من العلم وأريكم آياتي في الآفاق ولكنهم لن تخلفوا ذبابة ولو اجتمع لذلك كل علماء الأرض في كل العصور .

وهكذا تحدى الله البشرية كلها إلى يوم القيامة بأن يخلقوا ذبابة وقال أن العلم الذى ستعبدونه من دون الله والذى ستؤمنون به ، هذا العلم وكل القائمين عليه لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا له قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

---

(١) الدين والعلم ــ طبعة وزارة الأوقاف المصرية ص ٨ .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم : ٦٩ .

(٣) سورة النحل آية رقم : ٦٩ .

(٤) معجزات الرسول ﷺ د / مصطفى مراد ص ٢٨٠ .

لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (١) .

والعجيب أن الإنسان قد وصل إلى القمر وقد يصل إلى المريخ وقد يستكشف أبعد من ذلك ، ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح ذبابة حتى الآن ، وهو طلب ضعيف جداً بالنسبة لقدرة الله سبحانه وتعالى في خلق ملايين الكائنات(٢) .

رابعاً : أن العلم الحديث أثبت أن منى الرجل إنما يتكون من صلبه أى ظهره وان بويضات النساء تتكون من عظام صدرها أى ترائبها وهكذا أوضح القرآن الكريم قبل العلم بأربعة عشر قرنا من الزمان مكان إفراز المنى والبويضات في الإنسان .

وصدق الله العظيم حينما قال في كتابه الجليل : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ (٣) .

ثم يستطرد القرآن الكريم ليقص علينا حقائق طيبة ونظريات علمية في كيفية خلق الإنسان فيقول : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سمعياً بصيراً ﴾ (٤) .

فيقرر بهذه الآية أن الإنسان لم يخلق من نطفة واحدة فقط بل من امشاج أى أخلاط هى نطفة الرجل وهى الحيوان المنوى ونطفة المرأة وهى البويضة .

ويتابع القرآن الكريم إعجازه العلمى فيذكر الأدوار التى يمر بها الجنين وهو في عالم الغيب فيقول جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (٥) .

وقد أوضح علم التشريح والأجنة أن ما ورد في القرآن هو ترتيب خلق الجنين ، وانه لم يمكن الاستعاضة عن ألفاظ القرآن الكريم بغيرها .

فعند التناسل فرز الرجل ٢٦ مليون حيوان منوى صغير الحجم للحيوان رأس مفلطح وذيل طويل وتتم حركته بواسطة قوة اندفاع لولبية ذيلة ومتى وصل إلى مهبل الانثى قابلت بويضة الأنثى فيندمج فيها حيوان واحد ، وتأخذ البويضة الملقحة في الانقسام إلى اثنين ثم أربع فثمان فست عشرة .

---

(١) سورة الحج آية رقم : ٧٣ .
(٢) معجزة القرآن ــ الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٥٠ .
(٣) سورة الطارق الآيات : ٥ ــ ٧ .
(٤) سورة النساء آية رقم : ٢ .
(٥) سورة المؤمنون الآيات رقم : ١٢ ــ ١٤ .

وهكذا تكون شكلا مستطيلاً مشابهاً لعلقة ناموس التى تعرف (باليرقات) ويستمر الجنين علقه بشكله المستطيل مدة تقرب من الأربعين يوماً ، وبعد ذلك تستدير هذه النطفة التى زادت بانقسامها وتتكون بغير انتظام وتشابه عندئذ قطع اللحم الممضوغة في تكويرها وليونتها ن وتسمى بالمضغة ولا يزيد طولها عن ربع بوصة وبذلك يكون زاد حجم البويضة الملقحة خمسين ضعفاً ويزداد وزنها ثمانية آلاف ضعف ، وتأخذ بعد ذلك المضغة في الانقسام إلى عديد من الخلايا وتتحد فئات هذه الخلايا ، إذ تتخصص كل فئة منها لإنتاج أجزاء معينة من الجنين فالجزء الخارجى من المضغة يقوم بعمل الجلد والجهاز العصبى والجزء الأوسط منها يكون العظام والعضلات والأوعية والجزء الداخلى يكون الأحشاء[1] .

وهكذا يمر خلق الإنسان بخلق النطفة ، ثم هذه تصبح علقه ، ثم تخلق مضغة ، وبعد هذه المدة التى متوسطها أربعون يوماً أو خمسة أسابيع تنشأ العضلات ومعها العظام ، وفى معظم أحوال النمو العظمى ينشأ أولاً طراز من العظام أكثر شفافية منه وأقل صلابة وأشد رخاوة وهذا الغضروف الذى تترسب حوله مادة العظم ، وفى الشهر الثالث الذى يسمى بشر الأسنان تنشأ أماكن الأسنان في عظام الفكين ، وتكون براعم الأسنان اللينة ، ويكون عظام الاصداغ والعظام الأفقية ، وتنشأ الخلايا في كافة أجزاء المضغة مكونة الأجهزة والأنسجة التى تكسو العظام المتكونة لحماً ، وبذ لك يكون الجنين على الصورة التى أوردها القرآن دون تغيير أو تبديل[2] .

وهذا يؤكد لنا أن القرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ كاملاً ، وسجلت آياته وهو ما يزال حيا ، وكان تسجيله في منتهى الدقة ، فلم يتغير منه حرف واحد ، وليس في المسيحية شئ مثل ذلك ، فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشب القرآن الكريم ، وكان اثر القرآن على الناس بالغ العمق ، ولذلك كان أثر سيدنا محمد ﷺ على الإسلام أكثر واعمق من الأثر الذى تركه سيدنا عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية[3] .

خامساً : هناك أربعين آية في القرآن الكريم تأتى بإيضاحات تكميلية من هذه المعطيات عن علم الفلك ، وليس بعض هذه الآيات إلا تأملات في عظمة الخالق الذى رتب كل نظم النجوم والكواكب ، تلك التى تعرف أنها موضوعة في مراكز توازن .

وقد شرح العالم (نيوتن) الثبوت الدائم لهذا التوازن بقانونه عن جاذبية الإجرام والآيات القرآنية لا تعطى مادة للتأمل العلمى فهى ببساطة تهدف إلى جذب الانتباه إليها لإعطاء فكرة صحيحة عن الطريقة التى عرض بها نص القرآن منذ حوالى ما يقرب من أربعة عشر قرناً لن الزمان لينتظم الكون .

---

(١) الإعجاز العلمى في القرآن الكريم د / عابد منصور عابد ص ٨٦ .

(٢) الإعجاز العلمى في القرآن الكريم د / عابد منصور عابد ص ٨٧ .

(٣) الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ تأليف العالم الامريكى وليم كار ترجمة أ / أنيس منصور ص ١٧ الطبعة التاسعة ١٩٩٧م المكتب المصرى الحديث .

وتكون هذه الإشارات حدثا جديداً في التنزيل الإلهى فلا الإنجيل ولا العهد القديم يعالجان ترتيب الكون أما القرآن الكريم فهو ينظر طويلاً في هذا الموضوع فما يحتويه هام وما لا يحتويه هام أيضاً ، فهو لا يحتوى في الواقع ذكر النظريات السائدة في عصر تنزيله عن تنظيم العالم السماوى تلك النظريات التى أثبت العلم فيما بعد عدم صحتها ، وستعطى على ذلك مثالاً واضحاً حتى نثبت للعالم أن هذا الجانب ذا طابع سلبى[1] . قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[2] .

سادساً : تقديم السمع على البصر حقيقة علمية تتسق مع استمرار حاسة السمع دون البصر ليلاً ونهاراً حتى أثناء النوم ، الأهمية النسبة للسمع عن البصر في التلقى والفهم والحفظ والتفاعل الاجتماعى ، ومن المعروف أن قناة السمع الخارجية تتشكل في الجنين ثم تغلق وتظل كذلك حتى الشهر السابع حتى تنشق لتبدأ حاسة السمع في العمل .

وكذلك تنشق عدسة العين المغطاة حينئذ بالمحفظة العدسية الوعائية التى تتخللها أوعية دموية تضمر في الشعر السابع فتنشق في وسطها فتجه هى حدقة العين ، ثم تنشق الجفون الملتصقة .

وهذه الحقيقة التى تثبت اكتساب المولود لحاسة السمع قبل البصر كررها القرآن الكريم قبل العلم الحديث بأربعة عشر قرنا وذكرها في خمس عشر سورة[3].

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4] .

الإعجاز العلمى في القرآن الكريم متجدد ومستمر إلى يوم القيامة :

القرآن الكريم متجدد دائم ونزلت فيه الآيات بمناسبات ادخرها لها السماء ليتكامل البنيان القرآنى مع كمال الدين للمسلمين ، وفى هذا التكامل في بناء القرآن مع تراض الزمان معجزات في البنان وفى تقدير الزمان ، وتقدير حاجات البشر تفتح أبواباً واسعة لفهم المعانى والبيان والأحكام يدركها أولوا العلم بالقرآن[5] .

ولما كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى،التى أيد الله بها رسوله محمد ﷺ لتبقى بين أيدى الناس إلى قيام الساعة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[6] .

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم د / موريس بوكاى ص ١٧٥ .

(٢) سورة ق آية رقم : ٦ .

(٣) معجزات الرسول ﷺ د / مصطفى مراد ص ٢٨٨ .

(٤) سورة النحل آية رقم : ٧٨ .

(٥) لقرآن والمنهج العلمى المعاصر أ / أنور الجندى ص ٢١ .

(٦) سورة الأنعام آية رقم : ١٩ .

فقد ظهرت مباحث في علوم القرآن تعنى بجوانب الإعجاز القرآن البلاغية والتشريعية والتربوية والعلمية وغيرها ، وفى بيان المعجزة العلمية من حيث طبيعتها الباقية بين يدى الناس وتجددها مع كل كشف بشرى في ميادين العلوم ، وكذلك في المعارف ذات الصلة بمعانى الوحى الإلهى[1] يقول الله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2] .

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة أنزله بعلمه أى فيه علمه الذى أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه وما فيه من العلم بالغيوب من الماضى والمستقبل[3] .

وهكذا تسطع بينة الوحى المترل على سيدنا ﷺ وسلم بما نزل فيه من علم إلهي يدركه العربى والأعجمى من الناس في كل زمان ومكان وتبقى هذه البينة ظاهرة متجددة على مر العصور إلى قيام الساعة ، ولذلك يقول ﷺ ما من الأنبياء بنى إلا أعطى من الآيات ما مثله من عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم نافعاً يوم القيامة[4] .

يقول ابن حجر العسقلانى عند شرحه لهذا الحديث ــ ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقة للعادة في أسلوبه وفى بلاغته وإخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شئ مما أخبر به سيكون بدل على صحة دعواه فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد[5] .

تعقيب :

يتضح من خلال ما سبق ــ أن القرآن العظيم فهمه حق والعمل به واجب والتفكر في معانيه طاعة وعبادة ولقد فهمه وعمل به بضعة آلاف من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ففتحوا للعلم وللحضارة فى بضع سنين إمبراطوريتين كانتا تحكمان العالم ، مما يعتبر وجه إعجاز عملى عالمى دائم الدلالة للقرآن ورسالة الرسول ﷺ وإعلانا على حاجة الأجيال التالية إلى كبار

(١) الدين والعلم ــ طبعة وزارة الأوقاف المصرية ص ١٦ .

(٢) سورة النساء آية رقم : ١٦٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ــ العلامة ابن كثير ج١ ص ٥٥٧ .

(٤) الحديث ــ أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٢ ص ٣٤١ ــ الطبعة الأولى ١٩٩٧طبعة مؤسسة الرسالة العلمية .

(٥) فتح الباري ــ لابن حجر العسقلانى ج٩ ص ٧ طبعة دار الفكر .

الربانية والمرشدين في بحار معانيه ، ويستنبطوا أحكامه ويقدموها للناس والإرشاد والاستنباط هذا وجهان من وجوه حفظ القرآن ، ووسيلتان للعمل بأحكامه والاهتداء بهديه .

لقد حفظ الله القرآن في الصدور وفى المصاحف كما يتزايد عدد حفاظه بمرور العصور ، وحفظت معانيه قلوب المسلمين ، ويزداد العمل بها حينما عمل بها الأفراد والجماعات وان لم يدينوا بالإسلام ؟

ويسر الله الحفظ فكثرت الآيات الهادية إلى ما بعدها أو قبلها بأسباب شتى من معنى أو لفظ أو حرف أو حسن أو تقابل أو حصاد أو مشاكلة أو مقاربة أو مقارنة أو غير ذلك .

وكان آية الله أن تثبت البحوث العلمية عن ظهر قلب أصح للذهن وابعث للفهم وأفتح للمدارك مما يؤكد أثر القرآن في النفس بارهاف الحس وتحزيك العقل وتوسيع مدى طاقاته .

وان تثبت البلبة التى تعانيها شعوب العالم المعاصرة من الاضطراب الخلقى الفاجع ، أن في تعاليم الإسلام ضلوع للعالم فيزداد الإقبال على اعتناق عقيدته أو على الأخذ بمعانيه .

ولما سبق العالم الأوربي من بضع قرون باعتناق المنهج العلمى الذى جاء به القرآن كان يسلم بوجه إعجاز عالمى آخر مستمر ملموس يشارك المسلمون وغير المسلمون في إثباته ، وهذا المنهج العالمى قائم على كليات أساسية هى :

أولها : العلم واستعمال العقل .

ثانيها : الحرية .

ثالثها : الإقناع .

رابعها : طريقة الدعوة إلى الإسلام .

خامسها : منهج استقراء الواقع واستعمال العقل للاعتبار .

سادسها : النهى عن التقليد وعدم الاستسلام للأوهام .

المبحث الخامس

موقف المستشرقين من معجزة القرآن الكريم

انقسم المستشرقين تجاه معجزة القرآن الكريم إلى فريقين أساسيين :

أولاً : فريق ينكر هذه المعجزة ويطعن في صحتها ويحاول أن يشوشر عليها بشتى السبل والوسائل .

ثانياً : فريق يؤمن بهذه المعجزة ويشهد بعظمتها .

أولاً : المستشرقون المنكرون لمعجزة القرآن الكريم :

دأب الاستشراق على تصوير القرآن الكريم بأنه فيض وجدان النبى ﷺ وصورة من انطباع نفسى بما كان يدور حوله ويقع أمام عينيه ، وان الوحى الإلهي ليس وحياً منزلاً من رب العالمين ، وإنما يوحى من داخل النفس وعندما ترجم (وليم موير) بعض معانى سور القرآن أطلق عليها اسم ـــ كلمات وأحاديث منوعة لمحمد .

أما جورج سيل ـــ فقد ترجم خطاب القرآن الكريم يا أيها الناس أو بعبارة (يا أهل مكة) وهو يزعم أن محمداً كان يريد إصلاح بنى جلدته وتقدمهم اقتصاديا وسياسيا ولم يقصد إلى مخاطبة البشر كله . وتجاهل الآية القرآنية : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1] ، وزعم جورج سيل أن محمداً لم يك يفكر في توجيه رسالته خارج قبيلته .

يقول السير وليم موير : أن فكرة عالمية الإسلام قد جاءت فيما بعد ، وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها لم يفكر فيها محمد ﷺ نفسه ، وعلى فرض أنه فكر فيها فقد كانت الفكرة غامضة ، فإن عالمية الذى كان يفكر فيه إنما كان بلاد العرب ، كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلها إلا إلها ، وأن محمداً لم يوجه دعوته منذ بعث إلا للعرب دون غيرهم .

وهكذا نرى أن نواة عالمية الإسلام قد غرست ولكنها إذا كانت قد أضمرت وعنت بعد ذلك فإنما يرجع هذا إلى الظروف والأحوال أكثر منه إلى الحفظ والمناهج .

ووليم هذا ينكر عالمية الدعوة المحمدية ويرجعها إلى الظروف والأحوال ثم إلى الخطط والمناهج ، التى أعدها أتباع محمد بعد مماته فقد دافع عن الإسلام في كتاب (حياة محمد) حيث فقد

---

(١) سورة سبأ آية رقم : ٢٨ .

مزاعم (جولد زيهر وفيل وبول) حول الوحى الإلهى ، وتفسيرهم له بأنه نوبة من نوبات الصرع التى كانت تنتاب محمداً ﷺ .

وعقب على ظاهرة الوحى فنفى ما افتراه الجاهلون على النبى ﷺ من حالات الصرع المدعاة ، لأن نوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أى ذكر لما مر به أثناءها ، ذلك لأنها تعطل حركة الشعور والتفكير فيه تمام العطل ، وقد أيد كل من الأب (هنرى لامنس) (وفون هامز) ذهب موير في التفرقة بين حالة الصرع والوحى الإلهى[1]

ويقول السير توماس أرنولد : كانت رغبة محمد ﷺ إلى تأسيس دين جديد وقد نجح في هذا السبيل ، ولكنه في الوقت نفسه أقام حطاماً سياسيا له صبغة جديدة متميزة تميزاً تاماً ، وكانت رغبته بادئ الأمر مقصورة على توجيه بنى وطنه إلى الاعتقاد بالوحدانية لله إلا أنه بجانب ذلك عمل على هدم نظام الحكومة القديم في مكة مسقط رأسه ، وأقام حكومة دينية مطلقة ، وقام هو على رأسها خليفة لله في الأرض بدلاً من الحكومة الأرستقراطية القبلية التى كانت الأسر الحاكة تتورع سياسة الشئون العامة تحت لوائها .

وتوماس هذا يعد من المعتدلين ولكن عصبيته أعمته ، فاعتبر أنه في مكة نظاماً أرستقراطيا فاستبدله من محمد ﷺ بنظام دينى ، وأنكر أن الحياة في مكة كانت حياة قبلية لا تعرف الحكم السياسى .

ويحاول (كازنوافا) في كتابه (محمد ونهاية العالم) أن يثبت أن القرآن قد أضيف إلى رسول الله بعد وفاته وأنه لم يكن وحياً من الله تعالى وإنما دعت الحاجة في نظر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما إلى نسبته إلى الرسول ﷺ .

ويقول (بول ديك) في كتابه (تاريخ القرآن) أن فواتيح السور ليست من القرآن في شئ وإنما هى رموز لمجموعات الصحف التى كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثمانى[2] .

ولكن هذا الكلام كله افتراءات كاذبة لا أساس لها من الصحة في شئ وان دلت على شئ فإنما تدل على حقدهم الشديد على هذا الكتاب وعلى رسوله محمد ﷺ ، وهذه الافتراءات كلها قد رد القرآن الكريم على مثلها حين نزوله فقال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾[3] .

ومن ناحية أخرى يدعى بعض المستشرقين أن الشعر الجاهلى هو أساس مشكلة إعجاز القرآن كما ينبغى أن يواجهها العقل الحديث .

---

(١) أضواء على الاستشراق والمستشرقين د / محمد أحمد دياب ص ٥٢ .

(٢) أضواء على الاستشراق والمستشرقين د / محمد أحمد دياب ص ٥٣ .

(٣) سورة يونس آية رقم : ٣٩ .

وليس أساس هذه المشكلة هو تفسير القرآن على المنهج القديم فالشعر الجاهلى قد صب عليه بلاء كثيراً آخرها وأبلغها فساداً وإفساداً ذلك المنهج الذى ابتدعه (مرجليوث) لينسف الثقة به ، فيزعم أنه شعر مشكول في روايته ، وأنه موضوع بعد الإسلام وهذا المكر الخفى الذى مكره (مرجليوث) وشيعته وكهنته ، والذين ارتكبوا له من السفسطة والغش والكذب ما ارتكبوا .

كما شهد بذلك رجل من جنسه هو (أريرى) كان يطوى تحت أدلته ومناهجه وحججه إدراكاً لمنزلة الشعر الجاهلى في شأن إعجاز القرآن الكريم لا إدراكا صحيحاً مستبيناً ، بل إدراكا خفيا مبهما مخالطه ضغينة مستكنة للعرب والإسلام ، وهذا المستشرق وشيعته وكهنته كانوا والذين ارتكبوا له من السفسطة والغش والكذب ما ارتكبوا .

كما شهد بذلك رجل من جنسه هو (أريرى) كان يطوى تحت أدلته ومناهجه وحججه إدراكاً لمنزلة الشعر الجاهلى في شأن إعجاز القرآن الكريم لا إدراكاً صحيحا مستبيناً ، بل إدراكا خفيا مبهما مخطا له ضغينة مستكنة للعرب والإسلام ، وهذا المستشرق وشيعته وكهنته كانوا أهون شأنا من أن يجوز كبيراً بمنهجهم الذى سلكوه وأدلتهم التى احتطوها لما في تشكيكهم من الزيف والخداع ، بلغوا ما بلغوا من استضافة مكرهم وتغلغله في جامعاتنا ، وفى العقل الحديث في العالم الإسلامي بوسائل أعانت على نفاذهم ليست من العلم ولا من النظر الصحيح في شئ .

وقد استطاع رجال من أهل العلم أن يسلكوا إلى إثبات صحة الشعر الجاهلى مناهج لا شك في صدقها وسلامتها بلا غش في الاستدلال وبلا خداع في التطبيق ، وبلا مراء في الذى يسلم به صريح العقل وصريح النقل ، إلا أنهم لم يملكوا بعد من الوسائل ما يتيح لهم أن يبلغوا بحقهم ما بلغ أولئك بباطلهم[1] .

ثانياً : المستشرقون المعترفون بعظمة معجزة القرآن الكريم :

يقول المستشرق الفرنسى الأستاذ (ديمومبين) بحق في كتابه عن الإسلام ــ أن المنصف لا مناص له أن يقرأ القرآن الحاضر هو القرآن الذى كان يتلوه محمد ﷺ [2] .

ويقول (الفردجيوم) رئيس كلية كلهام بإنجلترا في النصف الأول من هذا القرن الميلادى في تقديم كتاب (تراث الإسلام) وقد كان من حسن حظ الإسلام أن بلغت رسالته في وقت كان اللسان العربى في ذروة مجده وكانت اللغة الآرية في فقر مدقع إذا قورنت باللغة العربية كما لم تكن اللغة العبرية مأثورة في عصرها الذهبى لتقوى على منافسة هذه اللغة العربية في بلاغتها العجيبة .

---

(١) مداخل إعجاز القرآن ــ أو فهر محمود محمد شاكر ص ١٦٧ .

(٢) التفكير الفلسفى في الإسلام د / عبد الحليم محمود ص ٣٩ .

وما يرويه مستشرق دينى عن بلوغ اللسان العربى ذروة المجد في ذلك العهد إقرار بـــان تحـــدى القرآن كان تحدياً لذروة المجد وأن الإقرار بالعجز كان إقرارا من المقتدر في ذروته ، وهو إعجـــاز سلفه من عاشوا في عصر نزول القرآن ويستسلم له المستشرقون وغيرهم ممـــن يعيشـــون الآن ، واللغة العربية مازالت في مكانتها من لغات العالم .

واللغات التى استحدثت في الأعوام الألف السابقة مثل الإنجليزية والفرنسية والإيطاليـــة والألمانية أضيف نطاقا في مادتها ، وفنون بلاغتها وتراكيبها وأساليبها من اللغة الـــتى اختارهـــا الله وعاء لمعانيه .

أن من السور ما يقتصر على آيات ثلاث ألفاظ واحدة منها أربعة عشر نعنى سورة العصر .

والإمام الشافعى رضى الله عنه وهو من أهل القرآن ـــ ومن ابلغ العرب وأعلاهم كعباً في البيان يقول عنها : لو لم يترل غيرها من القرآن الكريم لكفت[1] .

ويقول السير جيمس العالم الفلكى الغربى والأستاذ بجامعة كمبردج بالولايات المتحـــدة الأمريكية : كنت ألقى محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية ونظامها المدهش وأبعادها وفواصلها اللامتناهية وطرقها ومداراتها وجاذبيتها وطوفان أنوارها المذهلة حتى أننى شعرت بقلبى يهتز بهيبـــة الله وجلاله .

ووجدت شعر رأسى قائماً والدموع تنهمر من عينى ويدياى ترتعد من خشية الله تعالى ثم توقففجأة وقال : عندما ألقى نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودى يرتعش من الجلال الإلهـــي وعندما أركع أمام الله وأقول له أنه لعظيم أجد أن كل جزء من كيانى يؤيدنى في هذا الدعاء واشعر بسكون وسعادة عظيمين وأحس بسعادة تفوق بسعادة الآخرين ألف مرة ، ويضـــيف العلامـــة (عناية الله) قائلاً : لقد أحدثت هذه المحاضرة طوفان في عقلى وقلبى وقلت له : يا سيدى لقـــد تأثرت جداً بالتفاصيل العلمية التى رويتموها لى وتذكرت بهذه المناسبة آية من أى كتابى المقدس فلو سمحتم لى أن أقرأها عليكم فهز رأسه قائلاً بكل سرور فقرأت عليه الآية التالية وهو قول الله عـــز وجـــل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[2] .

---

(١) القرآن والمنهج العلمى المعاصر ـــ المستشار عبد الحليم الجندى ص ٣٩ .

(٢) سورة فاطر الآيات رقم : ٢٧ ـــ ٢٨ .

فصرخ (السير جيمس) ــ قائلاً ماذا قلت ؟ إنما يخشى الله من عباده العلماء مدهش ؟ غريب وعجيب جداً ؟ أن الأمر الذى كشف عنه دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة ، من أنبأ محمداً ﷺ به ؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة ؟

لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة منى على أن القرآن كتاب موحى من عند الله تعالى ويستطرد (السير جيمس) قائلاً : لقد كان محمداً ﷺ أمياً ولا يمكنه أن يكشف عن هذا بنفسه ولكن الله هو الذى أخبره بهذا السير ، مدهش وغريب وعجيب جداً[1] .

وصدق الله العظيم حينما قال : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2] .

تعقيب :

بعد المشوار الذى خضناه في كشف خفايا مخططات أعداء الإسلام الذين يتربصون بنا الدوائر ويبغون إزالة راية الإسلام وإحلال راية الكفر والإلحاد مكانها .

واستخدموا في ذلك كل الوسائل نحو تحقيق هذا الهدف مستغلين حسن نوايا وتسامح ديننا الحنيف .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3] .

أقول لأخواني المسلمين في كل زمان ومكان ، أفيقوا من ثباتكم واستيقظوا لما يدبره أعداؤكم ضدكم فتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم محمد ﷺ .

فبهما تسودون العالم كما ساده أجدادكم طيلة قرون عديدة شهد بها العدو قبل الصديق وسجلها التاريخ في صفحاته بمداد من ذهب لا تزال باقية إلى الآن وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه ترجعون[4] .

---

(١) دراسات في علوم القرآن د / محمد بكر إسماعيل ص ٢٩٢ بتصرف واختصار .

(٢) سورة فصلت آية رقم : ٥٣ .

(٣) سورة التوبة آية رقم : ٣٢ .

(٤) أضواء على الاستشراق والمستشرقين د / محمد أحمد دياب ص ١٨٠ .

نتائج البحث

أولاً : أن القرآن الكريم ـــ كتاب الله تعالى المنزل بالحق من عند الله تبارك وتعالى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١) .

ثانياً : أن القرآن الكريم له منزلة كبيرة عند الله عز وجل ، فهو آخر الكتب السماوية وخاتمها .

ثالثاً : أن القرآن الكريم هو دليل واضح على صدق النبى ﷺ في دعواه للنبوة والرسالة .

رابعاً : أن القرآن الكريم معجزة خالدة تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين ، لأن معجزاتهم انتهت بانتهائهم أما القرآن فهو خالد خلود الدنيا .

خامساً : أن الله عز وجل تحدى الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا ، وهذا يؤكد لنا أن هذا الكتاب معجزة خالدة إلى يوم القيامة .

سادساً : أن الله عز وجل هو الذى تولى بنفسه حفظ القرآن وتولى رعايته وعنايته من الضياع والتبديل وصدق الله حينما قال في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٢) .

سابعاً : إن اوجه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة وعديدة والقرآن الكريم معجز لأنه كلام الله تعالى ، ومادام الحق سبحانه وتعالى اخبرنا عن عدم الإتيان بمثله فكلام الله صدق ولن يتطرق إليه الكذب أبداً .

ثامناً : أن القرآن الكريم ملئ بالحقائق العلمية التى اثبت العلم الحديث صحتها وصدقها مما يدل على صحة هذا الكتاب ويدل على صدقه وصدق من جاء به .

تاسعاً : أن الإعجاز العلمى متجدد ومستمر إلى يوم القيامة لأن العلم الحديث كل يوم يكتشف الجديد والجديد من الأسرار الكونية التى أخبر عنها القرآن منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

عاشراً : أن أعداء الإسلام مهما طعنوا في هذا الكتاب ومهما تطالوا عليه فلن يعود تدبيرهم إلا في تدميرهم ولن يحيق المكر السئ إلا بأهله وصدق الله العظيم حينما قال ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (١)

وأسأل الله عز وجل أن ينفعنا بالقرآن فيذكرنا منه ما نسينا ويعلمنا منه ما جهلنا ويجعله نوراً لنا في الدنيا وشفيعا لنا يوم القيامة .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دكتور / فضلون محمد محمد مصطفى

---

(١) سورة فصلت آية رقم : ٤٢ .

(٢) سورة الحجر آية رقم : ٩ .

(١) سورة الأنفال آية رقم : ٣٠ .

أهم مصادر البحث

١ ــ كتاب الله تعالى ــ جل من أنزله .

٢ ــ صحيح الإمام البخارى ــ طبعة دار الغد .

٣ ــ صحيح الإمام مسلم ــ طبعة دار الفكر .

٤ ــ فتح البارى ــ لابن حجر العسقلانى ــ طبعة دار الفكر .

٥ ــ سنن الإمام ابن ماجه ــ طبعة دار الفكر .

٦ ــ سنن الإمام أبى داود ــ طبعة دار الغد .

٧ ــ التفسير الكبير ــ الإمام الفخر الرازى ــ الطبعة الثالثة ــ ١٩٨٥م طبعة دار الفكر للنشر والتوزيع .

٨ ــ تفسير القرآن العظيم ــ العلامة ابن كثير الطبعة الأولى ١٩٩٩م الدار المصرية اللبنانية .

٩ ــ المواقف في علم الكلام ــ تأليف / العلامة عبد الرحمن الايجى مكتبة المتنبى ــ القاهرة .

١٠ ــ شرح المقاصد ــ تأليف / الإمام سعد الدين التفتازانى . تحقيق د / عبد الرحمن عميره تصدير الشيخ / صالح موسى شرف ــ عالم الكتب ــ بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٩م .

١١ ــ شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ــ تأليف العلامة ابن أبى العز الحنفى ــ تحقيق د / عبد الرحمن عميرة ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٤ دار المنار للنشر والتوزيع ــ القاهرة .

١٢ ــ أصول الدين ــ تأليف الإمام أبى منصور البغدادى ــ قام بالنشر والتوزيع والطباعة مدرسة الألهيات بدار الفنون التركية باستانبول طبعة ١٩٢٨م .

١٣ ــ مقالات الإسلاميين ــ تأليف ابى الحسن الأشعرى ــ تحقيق أ / محمد محى الدين عبد الحميد .

١٤ ــ الفرق بين الفرق ــ تأليف الإمام / عبد القاهر البغدادى ت تعليق الشيخ / إبراهيم رمضان ــ الطبعة الثانية ١٩٩٧م ــ دار المعرفة بيروت .

١٥ــ عقيدة المؤمن ــ تأليف الشيخ / أبو بكر جابر الجزائرى الناشر مكتبة العلوم والحكم ــ المدينة المنورة ــ دار البيان العربى .

١٦ــ العقائد الإسلامية ــ تأليف / الشيخ سيد سابق الطبعة العاشرة ٢٠٠م ــ دار الفتح للإعلام العربى .

١٧ــ الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ تأليف العالم الأمريكى وليم كار . ترجمة أ / أنيس منصور الطبعة الثامنة ١٩٩٧م ــ المكتب المصرى الحديث .

١٨ــ الإسلام يتحدى ــ تأليف أ / وحيد الدين خان ترجمة / ظفر الإسلام خان ــ مراجعة د / عبد الصور شاهين الطبعة الثانية عشرة ١٩٩٧م ــ دار البحوث العلمية .

١٩ــ إحياء علوم الدين ــ تأليف الإمام الغزالى ــ تحقيق أ / سيد إبراهيم ــ طبعة دار الحديث ١٩٩٤م .

٢٠ ــ مكاشفة القلوب ــ تأليف ــ الإمام الغزالى ــ تحقيق أ / طه عبد الرؤوف سعد ــ مكتبة الإيمان ــ المنصورة ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٩٩م .

٢١ــ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم تأليف ــ الرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى تحقيق د / محمد زغلول سلام ــ الطبعة الرابعة ــ دار المعارف .

٢٢ــ الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق د / سيد عبد العزيز السيلى ــ دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ــ القاهرة .

٢٣ــ التفكير الفلسفى في الإسلام د / عبد الحليم محمود ــ الطبعة الثانية دار المعارف .

٢٤ــ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ــ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة دار الفتح للإعلام العربى .

٢٥ــ معجزة القرآن ــ تأليف / الشيخ محمد متولى الشعراوى طبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٩٥م .

٢٦ــ دراسات في علوم القرآن د / محمد بكر إسماعيل الطبعة الثانية ١٩٩٩م ــ دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ــ القاهرة .

٢٧ــ التصوير الفنى في القرآن ــ تأليف الشيخ / سيد قطب ــ الطبعة الحادية عشر ــ دار المنار .

٢٨ ــ مداخل إعجاز القرآن ــ تأليف أ / أبو فهر محمود محمد شاكر الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ــ مطبعة المدنى ــ القاهرة .

٢٩ــ معجزات الرسول ﷺ ألف معجزة من معجزات الرسول د / مصطفى مراد ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٢م دار الفخر للتراث ــ القاهرة .

٣٠ ــ معجزات النبي ﷺ للأستاذين ــ طه عبد الرؤوف سعد ــ وسعد حسن على ــ الطبعة الأولى ٢٠٠١م مكتبة الصفا ــ القاهرة .

٣١ــ القرآن والمنهج العلمى المعاصر ــ تأليف المستشار عبد الحليم الجندى ــ طبعة ١٩٨٤م دار المعارف .

٣٢ ــ بحوث في علوم الحديث د / هشام سيد مرسى سلطان .

٣٣ ــ محاضرات في التوحيد د / عابد منصور عابد طبعة ١٩٩٤م .

٣٤ــ الإعجاز العلمى في القرآن الكريم د / عابد منصور عابد الطبعة الأولى ١٩٩٣م ــ مطبعة الأمانة ــ القاهرة .

٣٥ــ النبوة في الفكر الإسلامى د / سمير حامد محمد عبد العال الطبعة الأولى ١٩٨٧م ــ مطبعة الأمانة ــ القاهرة .

٣٦ــ أضواء على الاستشراق والمستشرقين د / محمد أحمد دياب الطبعة الأولى ١٩٨٩م .

٣٧ــ دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق تأليف / لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الطبعة الأولى ١٩٩٩ .

٣٨ــ دراسات في العقيدة وعلم الكلام ــ طبعة وزارة الأوقاف المصرية

٣٩ــ الدين والعلم ــ طبعة وزارة الأوقاف المصرية ملتزم بالطبع والنشر ــ دار الفكر العربى .

٤٠ــ المعجزة الكبرى القرآن ــ الإمام محمد أبو زهرة ــ ملتزم بالطبع والنشر دار الفكر العربى .